الممارسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر

جميلة بوحيرد أنموذجاً

د. وفاء كاظم ماضي
جامعة بابل/كلية التربية (صفي الدين الحلي)

المقدمة

يزخر تاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر بالنماذج البطولية المشرفة والمقاومة للإطماع الاستعمارية المتعددة، والجزائر واحد من البلدان العربية، الذي تدل تجربته النضالية ضد الاستعمار الفرنسي منذ العام (١٨٢٧) وحتى اعلان الاستقلال عام (١٩٦٢) على روح المقاومة العربية، والتحدي والصبر من اجل تحقيق النصر وإعلان الاستقلال، وفي ذات الوقت دلت تجربة الشعب الجزائري على بشاعة ووحشية الاستعمار الفرنسي التي كان يطبقها على مناطق متعددة من الوطن العربي لتكبيله بسلاسل التخلف والجمود لعرقلة مواصلة مسيرته الحضارية الممتدة لآلاف السنين والدالة على اصالة وحضارة الوطن العربي العريقة. ضربت الجزائر بمقاومتها الشجاعة للاستعمار الفرنسي، ولأكثر من قرن، مثالاً رائعاً يحتذى به للعالم اجمع، وبرهنت ان الرجل والمرأة سيان لا اختلاف بينهما في مقاومتها للاستعمار وتحديهما للأساليب الاستعمارية التي دأب المستعمر على ممارستها على ابناء الجزائر، والتي تنوعت اشكالها ومسمياتها وهدفها واحد، هو القضاء على هوية الشعب الجزائري لينكر هويته العربية ويكون تابعاً لفرنسا وعلى مختلف الاصعدة. فبرزت لنا خلال الحقبة موضوع البحث اسماء لناء جزائريات لعبت دوراً مشرفاً في حركة التحرر الوطنية، وقمن بدور يضاهي دور الرجال، فبعضهن قدن ثورات مهمة مثل المجاهدة (لا لا فاطمة) والمجاهدة (عائشة الجزائرية) وغيرهن ممن كان لهن شرف الاسهام في نيل الاستقلال، وهناك نساء اخريات تعرضن للتعذيب وصدر بحقهن حكم الاعدام، ولعل ابرزهن المناضلة (جميلة بوحيرد) التي كانت بصبرها وتحملها عذاب التعذيب الذي مارسه عليها الجنود الفرنسيين، قد ضربت مثلاً رائعاً، امتد تأثيره على بقاع مختلفة من العالم، لذلك حاولنا خلال هذا البحث تسليط الضوء على حياة هذه المناضلة فتطرقنا لنشأتها، ثم عملها الثوري الذي قاد لاعتقالها وتعرضها للتعذيب، وبالتالي محاكمتها بمحاكمة صورية انتهت بإصدار حكم الإعدام عليها، ثم تطرقنا الى التأثير الذي تركته سواء على مستوى الجزائر نفسها، ام على المستوى العربي والعالمي وأخيرا حياتها بعد اعلان الاستقلال عليها ١٩٦٢.قسم البحث الى مبحثين الاول تناول الدوافع التي دفعت فرنسا للتفكير باحتلال الجزائر والأساليب الاستعمارية التي مارستها فرنسا على ابناء شعبنا في الجزائر مثل سياسة الفرنسة وفرض الخدمة العسكرية الاجبارية ومحاربة الدين الاسلامي، فضلاً عن استخدامها لأساليب تعذيب بحق المجاهدين أدت قسماً منها الى وفاة بعضهم ممن لم يتحملوا بشجاعة هذه الاساليب، التي لم ترضي الفرنسيين انفسهم، فما كان من احرار فرنسا ألا القيام بمعارضة هذه الاساليب من خلال اصدار الكتب والمقالات الداعية الى ايقاف نزيف الدم المتواصل في الجزائر، ولعل ابرز ماكتب هو كتاب (ضد التعذيب) للكاتب الفرنسي (بيير هنري سيمون).اما المبحث الثاني فقد تناول نضال المرأة الجزائرية منذ الاحتلال الفرنسي وحتى اعلان الاستقلال، مع اعطاء انموذجاً للممارسة الاستعمارية الفرنسية وهي المناضلة (جميلة بوحيرد) التي تناولنا نبذة مختصرة عن حياتها الشخصية ونضالها والتعذيب الذي تعرضت له.واجهت البحث صعوبات، وقف بمقدمتها ندرة المصادر التي تناولت حياة المجاهدة (جميلة بوحيرد) وتناقض المعلومات الواردة عنها من مصدر الى آخر، خاصة وان بعض المصادر تذكر انها سقطت شهيدة في ايام الثورة، لكن الحقيقة تؤكد انها عاشت بعد الثورة ولكن بعيداً عن الاضواء، ومدت المعلومات المتواجدة على شبكة الانترنيت النقص الواضح في المعلومات المتوفرة عن المناضلة جميلة.اعتمدنا على مجموعة قيمة من المصادر، غالبيتها لأشخاص كانوا معاصرين للثورة الجزائرية ومنها كتاب (الجزائر عبر الاجيال) للكاتب (مسعود مجاهد)، وكتاب (دفاعاً عن جميلة) للكاتبين الفرنسيين (جورج أرنو وجاك فيرجيس) وغيرها من الكتب العربية المهمة، فضلاً عن المقابلات الشخصية مع بعض الاشخاص الذين التقوا بالمناضلة (جميلة بوحيرد).

المبحث الأول

اولاً: الاحتلال الفرنسي للجزائر

كانت الجزائر في القرن الثامن عشر شبه عاصمة للشمال الافريقي، الذي استطاعت الدولة العثمانية من مد نفوذها اليه لتؤسس بذلك امبراطورية واسعة الاطراف شكلت المدن العربية في الشرق والغرب غالبية مناطق هذه الامبراطورية واستطاع العثمانيون من فرض سيطرتهم على معظم مناطق الجزائر، ولكن هذه السيطرة لم تكن الا سيطرة اسمية، فالقوات العثمانية تمركزت في المناطق الساحلية فقط، في الوقت الذي اعتمدت على نظام التحالف مع القبائل القاطنة في المناطق الجنوبية، لضمان جباية الضرائب السنوية للدولة العثمانية[١].شكل البدو الغالبية العظمى من سكان الجزائر، والذين اعتمدوا في معيشتهم على تربية المواشي، مثل الخيل والأبقار والأغنام. مع تصدير الفائض عن حاجتهم الى الخارج، اما سكان الوديان والواحات، وبحكم استيطانهم في الاراضي الزراعية، فقد عملوا بمهنة الزراعة، المهنة الاكثر رواجاً بين سكان الوطن العربي خلال هذه الحقبة، فقد كانت وديان وواحات الجزائر من المناطق الخصبة والغنية بزراعة القمح والخضروات والفاكهة وفي مقدمتها العنب. وفضلاً عن هاتين المهنتين، تربية المواشي والزراعة، كانت هناك الصناعة التي لم يتجاوز عدد العاملين فيها (١٠%) من مجموع السكان، وتكاد هذه النسبة تتساوى او ترتفع قليلاً في عموم المناطق العربية، فالصناعة كانت بدائية ولم تتطور كثيراً بعد الثورة الصناعية لأسباب تتعلق بالأوضاع السياسية والاقتصادية المتخلفة التي كانت تحيط بالمناطق العربية جراء السيطرة العثمانية التي امتدت لقرون طويلة، وتصدرت مهنة تقطيع الخشب بقية الصناعات لانتشار الغابات العديدة ومن ابرزها غابات بني عمروس، وبني منصورة التي كانت تزود العمال بالخشب الذي يستفاد منه في بناء السفن والأساطيل وساعد غنى التربة بمعدني الحديد والنحاس على تطور صناعة الاسلحة التي كانت ورشها ومصانعها تتركز في مراكز المدن او على الموانئ[٢].وكما اسلفنا فالجزائر كانت دولة شبه مستقل، فلم تكن خاضعة لنفوذ الدولة العثمانية الا اسمياً، فقد كانت دولة معترف بها من قبل الدول الاخر، فهذا الكاتب الفرنسي شارل جوليان، يذكر في كتابه الموسوم (تاريخ شمال افريقيا) عن الاستقلال الذي كانت تتمتع به الجزائر قائلاً:(لقد انسلخت ولايتا الجزائر وتونس في القرن السابع عشر عن الدولة العليا كل الانسلاخ.. فصارت للجزائر حكومتها المستقلة التي لايربطها بتركيا ألا الرابطة الروحية التي تربط كل امم الاسلام بخليفة المسلمين، فكان للجزائر من الحرية السياسية اكثرها لأي دولة من الممتلكات البريطانية المستقلة

في الوقت الحاضر)[٣].ومما يؤكد تمتع الجزائر بالحرية السياسية، عقدها لمجموعة من التحالفات الودية مع مجموعة من الدول، ففي العام (١٧٩٥) عقدت معاهدة مع الولايات المتحدة الامريكية، اما فرنسا التي لم تبرح ان تؤكد ان الجزائر جزءاً منها، فترجع علاقتها مع الجزائر الى عام (١٥٦٤) تحديداً حيث كانت تربطها علاقات مع الجزائر واستمرت هذه العلاقات حتى اندلاع الثورة الفرنسية الكبرى عام (١٧٨٩)، فبعد هذا التاريخ توسعت علاقاتها الاقتصادية، فنجدها فرنسا تستنجد بالجزائر، ولأكثر من مرة، لتمدها باحتياجاتها من المواد الغذائية بعد نجاح الثورة، لتصل ديون فرنسا بعد اقل من عشرة اعوام على قيام الثورة وتحديداً عام (١٧٩٧) الى ملايين الفرنكات الذهبية[٤]، فضلاً عن هذا الجانب فقد كان للجزائر دوراً لاينسى في حماية السفن الاوربية التي كانت تمخر عباب البحر الابيض المتوسط سواء للسفر او للتجارة، فكانت مهمتهم تتحدد بحماية هذه السفن من القراصنة، فالقرصنة ظاهرة قديمة ترجع الى عصور بعيدة، ولكنها عادت وبرزت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وممارستها دول عدة منها فرنسا والبرتغال وهولندا، اما الجزائريون الذين كانوا يمارسون القرصنة ايضاً، فقد اعتمدت عليهم الدول الاوربية في صد هجمات القراصنة على الاساطيل الضخمة مقابل دفع اتوات لهم وتميز الجزائريون عن غيرهم من القراصنة بأنهم كانوا أكثر إنسانية[٥] ، فهم يكتفون بأخذ الفدية من الاسرى مقابل اطلاق سراحهم، دون الضغط عليهم او تسخيرهم بإعمال شاقة'، على العكس تماماً من معاملة الفرنسيين للأسرى الجزائريين، وهذا ما اكده الكاتب (شارل جوليان) بقوله: ((ان الاسرى الذين كانوا يسخرون في تجذيف السفن كانوا يعانون سوء التغذية والتهديد المستمر، ولكنهم مع هذا كانوا احسن حالاً من البربر[٦] الذين يأسرهم الفرنسيون ويسخرونهم في سفنهم وكانوا يدمغون بالحديد المتوهج، اما الفرنجة من اسرى الجزائريين فلم يعاملوا بمثل هذه المعاملة فقد كانوا يقومون بشعائرهم الدينية في حرية تامة))[٧].ان هذه التصرفات مع الاسرى العرب من قبل فرنسا تؤكد ان سياسة فرنسا التعسفية والاستعمارية لم تكن وليدة الاستعمار عام ١٨٣٠، بل سبقته بسنوات بعيدة.بدأت فرنسا سياستها الممهدة لاحتلال الجزائر عندما رفعت شعاراً اوحت من خلاله ان الجزائر جزءاً من فرنسا ولن ترجع للحظيرة العربية الى الابد، وحتى تحقق هذا الشعار، بدأت الاعداد لخطة استعمارية قائمة على مرحلتين، الاولى اشعار الجزائريين بان ارض فرنسا هي الام، والجزائر جزء منها، اما المرحلة الثانية وهي الاكثر خطورة، فتتركز بالعمل على تطبيق سياسة الادماج لدمج الجزائر مع فرنسا الام، وحتى تبرز اهدافها للقدوم الى الارض الجزائرية اندفعت بدوافع متعددة لتبرر احتلالها، من ابرزها:

١- الدوافع السياسية

شهدت الحقبة الزمنية الممتدة من اواخر القرن الثامن عشر حتى بداية القرن التاسع عشر انحساراً واضحاً في عدد المستعمرات الفرنسة، خاصة بعد طردها من بعض المستعمرات اثر خسارتها الحربية كما هو الحال في الهند، وكندا ومصر، ناهيك عن الهزائم المتلاحقة التي منيت بها في اوربا، الامر الذي دعا قادتها السياسيين والعسكريين للتفكير بإيجاد ارض جديدة تعيد لهم هيبتهم العسكرية، خاصة وان بريطانيا كانت قد سيطرت على الهند ومناطق اخرى في اسيا وإفريقيا الغنيتين بالموارد الطبيعية، يضاف الى ذلك كله ان مؤتمر فينا المنعقد عام ١٨١٥ دعم نوايا فرنسا الاستعمارية لاحتلال الجزائر تخلصاً من نواياها الاستعمارية في القارة الافريقية، هذه الدوافع مجتمعة شكلت دافعاً لفرنسا للتفكير الجدي باحتلال الجزائر[٨].

٢- الدوافع الاقتصادية

شهد العالم اثر الثورة الصناعية، خاصة بداية القرن التاسع عشر تنافساً استعمارياً شديداً من اجل الحصول على المواد الخام للصناعات الحديثة الناشئة اثر هذه الثورة، هذا من جانب، ومن جانب اخر اشتد التنافس حول ايجاد اراضي جديدة لتصريف منتجاتها الصناعية الجديدة لذلك كانت الجزائر واحدة من المناطق العربية الي سعت فرنسا لاحتلالها تحقيقاً لإغراضها الاقتصادية، فهي اولاً مركز للحصول على المواد الخام، وثانياً سوقاً جيداً لتصريف منتجات فرنسا الصناعية، ومن الجدير بالذكر ان فرنسا فكرت باحتلال الجزائر تحقيقاً لمطامعها الاقتصادية، في الوقت الذي كانت الجزائر تمون فرنسا، خلال حروبها النابليونية، باحتياجاتها من المواد الغذائية، وخاصة الحبوب فضلاً عن قيامها باستدانة اموال طائلة من الجزائر لسد نفقاتها المتصاعدة، حتى بلغ مجموع القروض المقدمة لفرنسا عام (١٨١٩) حوالي (١٨) مليون فرنكاً ذهبياً[٩] اما فرنسا من جانبها، وكخطة لإنجاح مخططهما الاستعماري نجدها تصم اذنيها على مطالبة الحكومة الجزائرية المتكررة لسداد ديونها.فضلاً عن العوامل السالفة الذكر، يقف عامل اقتصادي آخر، وربما تشترك العديد من الدول الاستعمارية الراغبة بالسيطرة على مناطق الوطن العربي في هذا العامل، وهو الاعداد المتزايدة لنفوس فرنسا، الامر الذي دفع الحكومة بالتفكير الجدي لإيجاد مكان لإيوائهم هذا من جانب، وإيجاد فرص عمل لهم من جانب آخر، لذلك وجدت في الاراضي الجزائرية ضالتها لتحقيق هذا الهدف[١٠] وهذا هو ذات الهدف الذي تذرعت به عدد من الدول الاستعمارية مثل ايطاليا عندما اقدمت على احتلال ليبيا عام ١٩١١.

٣- الدوافع الدينية

لم يتوقف طموح القادة الاوربيين بإعادة حلم الحروب الصليبية، بل بقي هذا الحلم يراود الدول الكبرى ومنها فرنسا، التي كانت تحلم بالتحكم الديني من خلال بسط نفوذها المسيحي على كامل الاراضي الافريقية، وما قول وزير الحربية الفرنسية (دوكلير مونتانيار)، ابان الحملة على الجزائر، عندما قال: ((كان احتلالنا للجزائر، اخذاً بالثأر والاهانة التي لحقت بممثل فرنسا[١١]، وإرضاء للمسيحيين، وذلك بإبادة المسلمين اشد اعداءهم طغياناً)) ويضيف في ذات الموضوع مخاطباً الملك شارل العاشر ((مولاي... انها الارادة الالهية التي قضت ان تنادي سلسل القديس لويس[١٢] ليأخذ الثأر وليقتص للدين والإنسانية، وليغسل العار الذي لحق به هو بالذات))[١٣] اما ملك فرنسا، شارل العاشر، فقد ودع جيوشه المتجهة لاحتلال الجزائر، بقوله ((ان العمل الذي ستقوم به الحملة ترضية للشرف الفرنسي، سيكون بمساعدة العلي القدير، لفائدة المسيحية كلها))[١٤].هذه الاقوال التاريخية تعطينا صورة واضحة عن الاسلوب الاستعماري البغيض الذي لجأت اليه فرنسا، عندما قدمت العامل الديني لتبرر احتلالها لبقعة عربية الاصل، بينما كانت مندفعة بعوامل اقتصادية توسعية، ولم يكن العامل الديني ألا غطاءً تتستر به.اما الجنرال (دوبومون) قائد الحملة العسكرية البرية على الجزائر، فقد كان اكثر وضوحاً لتحقيق الحلم الفرنسي عندما خاطب المبشرين الذين رافقوا حملته بقوله: ((لقد جئتم لتعيدوا معنا فتح الباب على مصراعين، لتدخل المسيحية افريقيا، وأننا نأمل أن تعم ديانتنا هذه الربوع قريبا، لنعمل من جديد على ازدهار المدينة التي انطفأ نورها منذ عدة قرون))[١٥]. وعندما نتأمل هذا القول نجد احلام الفرنسيين المتعالية التي ارادت نشر المسيحية على حساب الاسلام الذي انتشر في الربوع الافريقية منذ عدة قرون، فالدول الاوربية كانت تقف بالضد من الدين الاسلامي الذي كانت ترى انه السبب في التخلف المنتشر في المناطق العربية، لذلك اعتقدوا ان نشر المسيحية في هذه المناطق سيعمل على

تطورها ومحي التخلف عنها.ان الدوافع السالفة الذكر، كانت كافية بدرجة كبيرة لتفكر فرنسا جدياً لاحتلال الجزائر، ولكنها كانت تنتظر الوقت المناسب، فكان تاريخ ٣٠ نيسان ١٨٢٧، الوقت المناسب عندما قام باي الجزائر (حسن باشا) بضرب القنصل الفرنسي (بيير ديغال) بمروحة الذباب التي كان يحملها[١٦]، اثر مشادة كلامية بينهما تتعلق بتسديد فرنسا لديونها المتراكمة للجزائر، فكانت هذه الحادثة الذريعة المناسبة لتتقدم الجيوش الفرنسية وتحتل الجزائر، فبدأت اولاً بفرض حصار على ميناء الجزائر في حزيران من العام ١٨٢٧، استمر الحصار حتى عام ١٨٢٩ عندما حملت الريح سفينة فرنسية الى الساحل الجزائري، وفي منطقة محرمة، فأطلق عليها النار[١٧]، فعدّت فرنسا هذا العمل اعتداءً واضحاً عليها وطالب الشعب حكومة فرنسا بعمل شيء ايجابي ازاء هذا الحادث، فقررت الحكومة في ٢٥/ايار/١٨٣٠ التقدم بحملة نحو الجزائر بقيادة (دي بورمون) ضمت (١٠٣) سفينة و (٢٢٥) مركباً و (٣٧) الف جندي و (٢٠) الف رجلاً من رجال البحرية[١٨].ان حادثة المروحة كانت الذريعة المناسبة لتحقق فرنسا من خلالها هدفها الاستعماري، وهذا ما اكده السياسي الالماني الشهير (مترنيخ) عندما قال:

((لايصرف ١٠٠ مليون فرنك ويعرض اربعين الف رجل للموت من اجل مروحة))[١٩].

بعد دخول القوات الفرنسية للجزائر بدأت بتطبيق سياستها الهادفة لتحقيق امرين مهمين:

١- استيطان الاراضي الزراعية وجعلها ملكاً للفرنسيين من خلال استخدام عدد كبير من الفرنسيين، حتى تصبح الجزائر ارضاً فرنسية بكافة تفاصيلها، وبمرور الوقت تبتعد عن طابعها العربي الاسلامي.

بدأت فرنسا بتحقيق هذا الامر عندما استولت على اراضي الدولة العثمانية وقامت بتوزيعهما فضلاً عن الاراضي التي صادرتها من المواطنين على رعاياها، وإحكامها في السيطرة على اكبر قدر من الاراضي قامت عام ١٨٤٣ بوضع اراضي الاوقاف او ما كانت تعرف باسم (الحبوس) تحت ادراتها وأخذت تحث المستوطنين لشرائها، بعد ان سمحت ببيعها[٢٠].وفي تشرين الاول من العام ١٨٤٤ اصدرت قراراً يقضي بمصادرة الاراضي العائدة لأسرة الداي حسن، الحقها اصدار قرار في مايس ١٨٤٦ يقضي بمصادرة الاراضي التي تسيطر عليها القبائل الرحالة وتستغلها للرعي، بحجة انها غير مستثمرة، او ان القبائل لاتستغلها لذلك بدأت الشركات الاستثمارية وكبار التجار التزاحم لشرائها بحجة اقامة قرى زراعة للمستوطنين الفرنسيين، لكنهم استغلوها لمصالحهم الخاصة بإقامة مشاريع اقتصادية[٢١].بالرغم من سعي فرنسا الدؤوب في السيطرة على اكبر قدر ممكن من الاراضي الزراعية الا انها واجهت عقبة امامها تمثلت بقلة الرعايا الفرنسيين الذين يقومون بامتلاك هذه الاراضي، او حتى مجرد الاستيطان فيها، لذلك بدأت بالإعداد لحملة دعائية مكثفة بجذب المهاجرين للجزائر، تمثلت هذه الدعائية لتقديم عروض مغرية مثل حق امتلاك الاراضي، تقديم القروض الميسرة، منح الجنسية الفرنسية، على اعتبار ان هذه الدعاية لم تشمل الفرنسيين فقط، بل كانت موجهة لعموم الاوربيين، وقد نجحت فرنسا في هذا هدفها هذا فبدأت اعداد لأبأس بهم من فقراء اسبانيا وايطاليا التدفق الى الاراضي الجزائرية، املاً بالحصول على العروض المغرية التي وعدت فرنسا بتحقيقها لهم. وربما كان سبب قدوم المهاجرين من هاتين الدولتين تحديداً، ان الكثير منهم ترجع اصولهم وجذورهم الى الوطن العربي وخاصة اسبانيا، خاصة اذا ما عرفنا انها ولفترات ليست بعيدة كانت تابعة للسيادة العربية، وحتى بعد انتهاء الوجود العربي فيها عام١٤٩٢م، لكن بقي فيها عدد غير قليل من العرب، لذلك وجدوا في العروض المقدمة من قبل فرنسا فرصة مناسبة للعودة الى الاراضي العربية وبذلك تشكلت الموجة الاولى من المهاجرين الفرنسيين للجزائر[٢٢].استمر تدفق المهاجرين الاجانب الى الجزائر وبإعداد متزايدة، ففي العام ١٨٧١ قامت ثورة جزائرية كبرى ضد الاستعمار، اسفرت عن انتصار فرنسا التي قامت وكجزء من معاقبة الثوار بمصادرة حوالي مليونين و (٦٠٠) الف هكتار دفعة واحدة، من الاراضي الزراعية وقامت بمنحها للمهاجرين الفرنسيين الذين قدموا اثر طردهم من مقاطعتي الالزاس واللورين الفرنسيتين بعد الهزيمة الكبرى التي منيت بها فرنسا امام الجيوش الالمانية عام (١٨٧١)، وصادف في العام ذاته ان قامت فرنسا بمنح اليهود المقيمين في الجزائر الجنسية الفرنسية، اعقبها وبعد عشرة اعوام تحديداً أي في عام (١٨٨١) قامت بإصدار قانون يقضي بمنح الجنسية الفرنسية لكل ابناء الاجانب المولودون على الارض الجزائرية، انطلاقاً من اعتبار الجزائر ارضاً فرنسية، وبذلك نجحت من خلال هذا القانون بزرع مليون مستوطن من جنسيات عدة على الارض الجزائرية[٢٣].استمرت الهجرة الاوربية بالارتفاع النسبي فنجدها ترتفع من (١٦٠) الف مهاجر في العام ١٨٥٦ حتى تصل الى (٣١٩) الف مهاجر من فرنسا و (١٢٧) الف من جنسيات اوربية متعددة في العام ١٩٣٦، وقامت بتوفير اسباب الراحة للمهاجرين فقامت ببناء أكثر من (٤٠٠) قرية[٢٤] زودتها بالماء والكهرباء ووفرت لها طرق المواصلات البرية فضلاً عن سكك الحديد، وقامت بإقراضهم أموالا لزراعة هذه القرى[٢٥].وسعت فرنسا بعد نجاحها نسبياً بالسيطرة على مساحات زراعية واسعة، بالعمل على منع الفلاحين الجزائريين من الزراعة من خلال التضييق عليهم بوسائل شتى، فنجد الجنرال (بيجو) الذي عُين في ٢٩/كانون الاول/١٨٤٠ قائداً عاماً للقوات الفرنسية يخاطب جنوده قائلاً:((ليست مهمتكم ان تجروا وراء العرب فهذا غير مجد، ان مهمتكم ان تمنعوهم من ان يبذروا او يحصدوا او يرعوا... ان الحرب التي سنقوم بها ليست حرباً تعتمد على طلقات البنادق وإنما هي أن نحرم العرب من مواردهم التي تنتجها ارضهم.. اذهبوا اذن واقطعوا القمح والشعير))[٢٦] وعرفت هذه السياسة باسم (الارض المحروقة) التي طبقها الفرنسيون على مساحات واسعة من الاراضي الجزائرية .وسعت الشركات الاستعمارية الفرنسية بالاستحواذ على (١٠٠) الف هكتار من اجمل الغابات خاصة بعد ان اعلنت فرنسا ان الغابات ملكاً للدولة، وبدأت باستغلال منتجاتها مثل الخشب والحلفاء[٢٧] لحسابها الخاص، فضلاً عن الغابات، فقد قامت فرنسا ومنذ العام ١٨٧٨ بإنتاج النبيذ في الجزائر التي اشتهرت بزراعة الكروم، بالرغم من عدم استغلاله محلياً باعتبار الجزائر دولة اسلامية، وذلك اثر الوباء الذي اصاب حقول الكروم في فرنسا في العام ذاته[٢٨].اثر هذه السياسة الاستعمارية تضاعفت نسبة مايمتلكه الفرنسيون من الثروة الزراعية، فوصلت الى (٦٥%) في العام ١٩١٨[٢٩]، وبالمقابل تناقص عدد الفلاحين الجزائريين، خاصة مع نهاية الاستعمار الفرنسي لتنخفض النسبة من (٥٣٨) الف الى (٤٩٨) الف للأعوام ١٩٤٨-١٩٥٤[٣٠]، خاصة اذا ما علمنا ان الجزائر كانت تصنف من الدول الزراعية، وكنتيجة طبيعية لهذا الانخفاض فقد تدنى المستوى المعيشي للفرد، مما انسحب الى تدني او انخفاض استهلاك الفرد الواحد للمواد الغذائية، وذلك بطبيعة الحال سينسحب على الوضع الصحي للفرد الذي عانى من مشاكل صحية، خاصة سوء التغذية، وشكل الاطفال النسبة الاكبر للإصابة بهذا المرض.بعد سنوات من الاحتلال، اعترفت فرنسا، ومن خلال لجنة فرنسية زارت الجزائر عرفت باسم (لجنة تحقيق افريقيا) التي كان هدفها التحقيق بما عملته فرنسا بمجال السيطرة على الاراضي الجزائرية، اعترفت بقيامها بإعمال عدة لتحقيق احد اهدافها، فقد جاء على لسان احد القادة الفرنسيين:

((لقد جمعنا املاك المؤسسات الدينية، وصادرنا ممتلكات فئة من السكان كنا قد وعدنا باحترام ملكيتها، بدأنا باستعمال سلطتنا بفرض غرامة (١٠٠) الف فرنك... ولقد ذهبنا احياناً الى ان اجبرنا الملاك السابقين على دفع نفقات هدم منازلهم، بل ونفقات هدم احد الجوامع ... وانتهكنا دون خجل بيوت الله والمقابر والدور وكلها ذات حرمة لدى المسلمين... لقد جاوزنا في البربرية هؤلاء البرابرة الذي جئنا لتمدينهم))[٣١].

هذا القول يؤكد ان فرنسا ارتكبت اعمالاً وصفها الفرنسيون انفسهم بالبربرية، هدفوا منها تحقيق مطلبهم القاضي باستيطان الارض الجزائرية، اما الهدف الاخر لفرنسا فهو:

٢- حكم الجزائر حكماً مباشراً، لادخل للجزائريين فيه، وحتى تحقق هذا الهدف قامت بتقسيم الجزائر ادارياً عام ١٨٤٥ الى منطقتين:

أ- منطقة شمالية يحكمها مدنيون فرنسيون.

ب- منطقة جنوبية يحكمها عسكريون فرنسيون.

واستناداً لهذا التقسيم اعلن مجلس النواب الفرنسي في العام ١٨٤٨ بان الجزائر قطعة طبيعية من فرنسا وإنها جزء من الوطن الام[٣٢] في العام (١٨٧٠) الحقت الجزائر رسمياً بفرنسا، فبدأ وزير الداخلية الفرنسية بتعيين مدنيين لمحافظات الجزائر باعتبارها احدى محافظات فرنسا، ولاداعي لتعيين حاكم عسكري، لأنها منطقة غير محتلة بل جزء من الوطن الام، وزاد هذا الاجراء من تشديد قبضة الفرنسيين على الجزائر.

اساليب فرنسا الاستعماريةبعد ان اطمئنت فرنسا على تحقيقها هذين الهدفين، من جهتها هي طبعاً، وليس من جهة العرب عموماً والجزائريين خصوصا، بدأت بتطبيق سياستها الاستعمارية التعسفية ولصعوبة تغطية جميع مفاصل الحياة التي مارست فرنسا فيها اساليبها الاستعمارية من جهة، ولطول الحقبة الزمنية للاستعمار الفرنسي للارض الجزائرية والتي قاربت الـ (١٣٠) عاماً، وهي حقبة زمنية تحتاج الى بحوث عدة، وفي جوانب متعددة، ولان البحث يهدف بالأساس أعطاء نبذة ولو بسيطة عن نضال المرأة الجزائرية الذي ركز على شخصية بارزة وهي المناضلة (جميلة بوحيرد)، لذلك سنركز على بعض الشواهد على همجية الفرنسيين، في جزء من مفاصل الحياة.

اولاً: الدين الاسلامي

ارتكبت فرنسا اعمالاً غير انسانية ضد الدين الاسلامي الحنيف، فهي اولاً، وكما اشرنا سابقاً عند حديثنا عن العامل الديني في الغزو الفرنسي، كانت تسعى لنشر المسيحية في الارض الجزائرية بدلاً عن الدين الاسلامي الحنيف، وتطبيقاً لهذه السياسة، ومع السنوات الاولى للغزو وتحديداً في العام ١٨٣٠، اعلنت الحاق جميع الاوقاف الاسلامية بممتلكات الدولة الفرنسية الخاصة، ويكون لها حرية التصرف بهذه الممتلكات، فضلاً عن ذلك فأن أئمة المساجد وسدنتها وقراء القرآن والمؤذنين اصبحوا موظفين لدى فرنسا، يتقاضون رواتبهم من الخزينة الفرنسية، ولم يقتصر الامر على ذلك، بل ان وجودهم بوظائفهم هذه يتحدد بولائهم لفرنسا، وهذا ما أكده احد كبار موظفي الجزائر المدعو (مسيو بوك) في حديث نشر بعد وفاته جاء فيه:((لقد وصل بنا امتهان واحتقار الدين الاسلامي الى درجة اننا اصبحنا لا نأذن بتسمية المفتي او الامام، ألا من بين الذين اجتازوا سائر درجات التجسس، ولايمكن لموظف ديني ان ينال أي رقي، الا اذا ما اظهر للإدارة الفرنسية إخلاصا منقطع النظير))[٣٣].لم يقتصر الامر عند هذا الحد، بل نجد من الشواهد التاريخية ما يؤكد سعي فرنسا لتحويل المساجد الاسلامية الى كنائس مسيحية طمعاً منها بمحو الدين الاسلامي، وما العمل الذي قام به القائد الفرنسي (بيجو) عام ١٨٣٢ عندما اصر على تحويل اجمل جوامع الجزائر والمعروف باسم جامع (كتشاو) الى كنيسة كاثوليكية، الا دليلاً واضحاً على محاربتهما للدين الاسلامي، فبالرغم من احتجاج السكان ضد هذا العمل، ورغم اقتراح عدد من الجزائريين العاملين في البلدية على تسليمه جامعاً آخر، لكنه وبوقاحته وشراسته التي عرف بها رفض وصرح انه يريد اجمل المساجد.. لأننا الأسياد الظافرون، وأمام صرخات الجميع واحتجاجهم اعطى اوامره العسكرية لاقتحام المسجد الذي اعتصم به (٤) آلاف مسلم، كان نصيبهم اطلاقات نارية اردتهم قتلى في بيت من بيوت الله[٣٤]، اما القائد (بيجو) فلم يهمه دماء الابرياء التي سقطت دفاعاً عن دينها الاسلامي، وإنما كان همه انه حول هذا الصرح الى كاتدرائية عرفت باسم كاتدرائية الجزائر.ازاء هذه الاعمال، طالب مسلمي الجزائر، وعلى رأسهم جمعية العلماء المسلمين في العام ١٩٠٥ بضرورة فصل الدين عن الدولة، وترك الحرية المطلقة للمسلمين لممارسة شعائرهم الدينية اسوة باليهود والمسيح الذين يتمتعون باستقلالية خاصة، لكن فرنسا، وجرياً على عادتها الاستعمارية ترفض ذلك وبشدة، فما كان من مسلمي الجزائر ألا مقاطعة المساجد التي تحكم فرنسا السيطرة عليها، والقيام بإنشاء مساجد (حرة) جديدة بعيدة عن الرقابة الحكومية الاستعمارية كلفتهم اموالاً وصلت احياناً الى (٥٠) الف جنيه[٣٥]، وبالرغم من ارتفاع التكلفة في وقت كانت تعاني منه الجزائر من وضع اقتصادي متدهور نتيجة للاستعمار لكن ذلك لم يمنعهم من الحفاظ على وحدة دينهم الاسلامي الذي بقي وحتى الاستقلال الديني الرسمي للجزائر.

ثانياً: فرض الخدمة العسكرية الاجبارية

مع بداية الاحتلال، اعتبرت فرنسا الجزائريين رعايا لها، لذلك قامت بداية القرن العشرين، وتحديداً عام (١٩١٢) بفرض الخدمة العسكرية الاجبارية على الجزائريين بصفتهم رعايا فرنسيين، ومع انها اخذت مبدأ البدل المالي الذي كان معمولاً به داخل فرنسا، والقاضي بإعفاء الفرد من الخدمة العسكرية مقابل دفع مبلغ مالي محدد، لكن ذلك لم يخدم غالبية الشباب الجزائري الذي كان يعاني من ضعف الحالة المادية التي حالت دون استطاعته دفع هذا البدل، وان كان قليلاً لذلك وجد الشباب الجزائري نفسه امام خيارين لاثالث لهما، اما الهجرة الى دول الجوار، وبشكل خاص دول المغرب العربي او بلاد الشام، ليكونوا بعيدين عن ملاحقة القوات الفرنسية لهم، او الانضمام اجبارياً في صفوف الجيش الفرنسي[٣٦]. وبذلك انضم الى صفوف الجيش الفرنسي اعداد ليست بالقليلة من الشباب الجزائري الذي وجد نفسه مضطراً للقتال في ساحات القتال الاوربية عند اندلاع الحرب العالمية الاولى في العام (١٩١٤) بصفتهم يمثلون فرنسا، لكن واقع الحال اثبت عكس ذلك تماماً، فالمتتبع للأحوال التي كان يعيشها الجندي الجزائري مقارنة بنظيره الفرنسي في ذات الوحدة العسكرية يجد فارقاً شاسعاً بين الاثنين فالجندي الفرنسي يتمتع بامتيازات خاصة حرم بالمقابل منها الجندي الجزائري الذي كان يعامل معاملة سيئة[٣٧]، ومع ذلك كان عليه القتال باسم فرنسا دون أي اعتراض.

ثالثاً: فرنسة الجزائر

دأبت فرنسا منذ قدومها الارض الجزائرية، على جعل الجزائر ارضاً فرنسية من خلال نشر الثقافة والقوانين الفرنسية لتصبح

الجزائر جزءاً منها وتبتعد بمرور الوقت عن هويتها العربية والقومية فبدأت سلسلة من الاجراءات لتحقيق سياستها التي عرفت باسم (سياسة الفرنسة) والتي طبقتها في حقب لاحقة في سوريا ولبنان التي فرضت انتدابها عليها بعد الحرب العالمية الاولى، وأول هذه الإجراءات هي:

١- احلال اللغة الفرنسية بدلاً عن اللغة العربية في مختلف انحاء الجزائر، والقضاء على كل ماله علاقة بالمقومات العربية، فاعتبرت اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية للبلاد، وجعل اللغة العربية لغة ثانوية تختار من بين اللغات الاخرى، كلغة ثانية تدرس في المدارس[٣٨]، ولم يقتصر منع استخدام اللغة العربية في المدارس فقط، بل تعداه الى منع استخدامها داخل المساجد ايضاً، كنوع من محاربة الدين الاسلامي، على ان مجهودات ابناء الجزائر، وخاصة جمعية العلماء التي تأسست بداية القرن العشرين، حالت دون محو اللغة العربية، من خلال المجهودات التي قامت بها والمتمثلة بإنشاء المدارس القرآنية، التي حددت هدفها بتعليم مبادئ الدين ولغة القرآن، واعتماداً على تبرعات الشعب[٣٩].

٢- اتباع الجزائر لوزارة الداخلية الفرنسية، وليس لوزارة المستعمرات، مما يحقق التبعية المباشرة والاندماج الكامل مع الوطن الام (فرنسا).

٣- اخضاع المحاكم الجزائرية بوزارة العدل الفرنسية بباريس ثم للحاكم الفرنسي العام منذ العام ١٨٩٦، مع اختيار قضاة حديثي العمد بممارسة المحاماة ، ممن لم تؤهلهم كفاءتهم للخدمة داخل فرنسا، فتم انتدابهم للعمل في الجزائر، فالحكومة الفرنسية لم تكن تسعى لتطبيق القانون قدر ماكانت تسعى لتنفيذ سياستها الاستعمارية داخل الجزائر لذلك شرعت قوانين خاصة بالجزائريين، رغم انها اخضعت محاكمها للقوانين الفرنسية، عرفت باسم Gode de Lindiginant وهي بمثابة استثناءات تتحول بمقتضاها السلطات القضائية الى السلطة الادارية تتضمنها رفع ضمانات معينة تتعلق بحرية الفرد الجزائري، ومن هذه الاستثناءات على سبيل المثال، لا الحصر نورد قسماً منها:

   ١- سلطة الحاكم الذي تخوله توقيع اوامر العقوبات ضد المناضلين ومن دون محاكمة، بحجة الحفاظ على الامن العام.
   ٢- الاعتماد على مبدأ المسؤولية الجماعية عن وقوع جناية او عمليات قتالية في احد الاحياء العربية.
   ٣- السماح للإدارة الفرنسية بحبس الجزائريين، او مصادرة املاكهم وبدون حكم قضائي.
   ٤- الزام الجزائريين بحمل ترخيص خاص يخولهم التنقل بين مناطق الجزائر[٤٠].

رابعاً: تردي الاوضاع الاجتماعية

عانى المجتمع الجزائري من تردياً ملموساً في نواحي الحياة الاجتماعية كافة في الحقبة التي تلت الاحتلال الفرنسي عام ١٨٣٠، فانتشرت الأوبة والإمراض، ولعل ابرزها مرض السل الذي راح ضحيته عدد كبير من ابناء الجزائر، فنسبة المتوفين وصلت الى ثلاثة اضعافها في اوربا، ووقف عامل الضعف الاقتصادي وراء نقص التغذية الذي ادى بالتالي لتفشي عدد من الامراض، فالنقص الحاد بالتغذية تسبب بوفاة (٥%) من الاطفال، وقبل بلوغهم عمر الخمس سنوات، ولم تتجاوز نسبة المستفيدين من الخدمات الصحية (٦٠%)، اما المساكن فقد افتقرت لأبسط الشروط الصحية فيما يتعلق بمنافذ التهوية او كثافة القاطنين فيها التي وصلت في قصبة الجزائر (٢٠٠٠) نسمة في الهكتار[٤١] الواحد، فالدار الواحدة كان يتقاسم السكن فيها عدة عوائل تصل احياناً الى عشرة عوائل[٤٢].اما عن الوظائف الحكومية، فقد اصبحت حكراً على المستعمرين فقبيل اعلان الثورة الكبرى عام (١٩٥٤) كان عدد سكان الجزائر حوالي (١٢) مليون نسمة، منهم مليون ونصف شخص عاطل عن العمل، ولكن في الاتجاه المقابل نجد ان الاوربيين الذين لم يتجاوز عددهم (٨٥٠) الف نسمة، كانوا يسيطرون على كافة الوظائف الحكومية بصورة تقريبية فمن مجموع الوظائف البالغ عددها (٢٦) الف وظيفة كانت حصة ابناء الجزائر في هذه الوظائف التي تخص بلادهم فقط (٤) ألاف وظيفة، وهي نسبة ضئيلة جداً لاتتناسب مع عدد السكان البالغ (١٢) مليون نسمة.ولم يعرف الفرنسيون مصطلحاً اسمه (البطالة)، الامر الذي اضطر حوالي (٤٠٠) الف جزائري للهجرة للدول الاوربية[٤٣] بحثاً عن وظائف يجنون منها اموالاً تسد رمقهم ورمق عوائلهم التي اضطرت للهجرة الى الدول القريبة مثل تونس والمغرب التي وصل عدد اللاجئين فيها حوالي (٣٠٠) الف شخص معظمهم من الشيوخ والنساء والأطفال، وحوالي (٢٠٠) الف في مراكش، عاشوا في ظروف شديدة القسوة فالكثير منهم كان بلا مأوى الامر الذي عرضهم للأوبئة والأمراض الفتاكة التي ذهب ضحيتها عدد كبير منهم[٤٤].ولسوء الاوضاع التي كان يعيشها اللاجئون الجزائريون في دول الجوار فقد قامت الدولة العربية بتوجيه نداء الى منظمة الهلال الاحمر الدولية يوضحون فيه صعوبة الظروف المعاشية والصحية والاجتماعية للجزائريين، وضرورة تقديم الدعم المادي والمعنوي لهم بما يمكنهم مواجهة هذه الظروف العصيبة[٤٥].اما التعليم الذي اعتاد عليه ابناء الجزائر، ومنذ قرون عديدة بفضل الكتاتيب الملحقة بالمساجد والزوايا والتي حصرت مهمتها بتعليم النشء الجديد اصول الدين واللغة وقد حققت هذا الهدف بفضل اعدادها الكثيرة والمنتشرة في بقاع الجزائر، فقد وصل عددها عشية الاحتلال الفرنسي مايقارب (٣٠٠٠)، ولكنها بدأت بالتناقص حتى انتهى وجودها بفعل الاستعمار الذي قام بتدمير وهدم مراكز الكتاتيب في المساجد والجوامع ليطبق سياسة (التجهيل) الى جانب سياسة (التفقير) التي كانت شعاراً سعت فرنسا لتحقيقه بالجزائر، لكنها لم تحقق هذا الشعار بفضل اصرار الاهالي الذين مابرحوا يتعلمون سراً في بيوتهم، حتى اضطرت فرنسا في العام ١٨٨٣ لفتح ابواب المدارس، التي كانت تحت اشرافها المباشر، امام ابناء الجزائر ولكن التعليم لم يكن عربياً بل كان فرنسياً بحتاً وذلك لإنجاح سياسة الفرنسة التي كانت تسعى لتطبيقها على عموم المناطق التي كانت تحكم سيطرتها عليها.بلغت نسبة المتعلمين الفرنسيين في المدارس الابتدائية ١٠٠% في حين لم تتجاوز هذه النسبة الـ (٨%) لعموم ابناء الجزائر، اما التعليم الثانوي فالوضع يشكل خطراً حقيقياً، فمن مجموع من هم بسن التعليم الثانوي ، لأيتمكن سوى (١٠%) فقط الالتحاق بالمدارس الثانوية، فمن مجموع (٤٩) مدرسة ثانوية يتخرج فقط (٥٣٠٠) طالب و (٩٥٢) طالبة من اصل (٣٤٧٦٨) طالباً غالبيتهم من الفرنسيين.وإذا ما وصلنا بسلم التعليم لمراحله العليا، أي في الجامعات فنجد الهوة الواسعة بين الجزائريين والفرنسيين، فمن بين (٥١٤٦) طالباً في كليات جامعة الجزائر، لايتجاوز عدد ابناء البلاد يوم اعلان الثورة عام ١٩٥٤ الـ (٥٥٧) طالباً جزائرياً فقط[٤٦] فالنسبة تساوي ١: ٢٢٧ طالب اوربي.ومن استقرائنا للأوضاع الجزائرية نجد عوامل عديدة تقف وراء هذه النسبة المتدنية فالفقر اول الاسباب ان لم نقل اهمها، ويلحق بالفقر عامل التمييز العنصري الذي مارسته فرنسا بقيامها بغلق ابواب الوظائف امام العرب الامر الذي عزفهم عن الالتحاق بالجامعات لعدم جدواها مستقبلاً، وبالتالي لانستغرب ان عرفنا ان الامية تجاوزت نسبتها الـ (٨٨%) بين ابناء الجزائر.ان الاحصاءات السالفة الذكر تتعلق بالحقبة الزمنية قبيل اعلان الثورة وذلك لنضع الصورة واضحة عند التحدث عن مناضلتنا (جميلة

بوحيرد) في الصفحات اللاحقة هذا من جانب، ومن جانب آخر ان التعليم العالي لم يعرف إلا قبل هذه الحقبة بزمن قليل لأسباب متعددة نذكر منها على سبيل المثال، لا الحصر، مايتعلق بالبنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري الذي كان يعاني من تخلفاً واضحاً في مراحل التعليم الابتدائي والثانوي وبالتالي لم تكن هناك شريحة جاهزة من الطلبة حتى تلتحق بالجامعات هذا من جانب، ومن جانب آخر، ان المستعمر الفرنسي نفسه لم يكن يشجع فتح جامعات داخل الجزائر، لان نسبة كبرى من الفرنسيين كانوا يكملون تعليمهم العالي خارج الجزائر، وتحديداً في فرنسا او دول اوربية اخرى، كل هذا وغيرها من الاسباب تفسر لنا، وبوضوح التدني في نسبة الملتحقين من ابناء الجزائر في الجامعات او الكليات.

خامساً: اساليب التعذيب الفرنسيةسارت فرنسا، ومنذ دخولها للجزائر، على فلسفة خاصة تتلخص بان الفرنسي كان يؤمن بأن الفرد الجزائري هو جنس لايستحق الحياة، جنس تجب ابادته لكي يحل محله جنس يستحق الحياة[٤٧] وهذه الفلسفة تفسر لنا الاعمال الوحشية التي ارتكبتها فرنسا اثناء احتلالها للجزائر، ومنذ العام ١٨٣٠ حتى اعلان الاستقلال في العام ١٩٦٢، وهذه الفلسفة هي ذاتها التي طبقها القضاء الفرنسي فالمحاكم الفرنسية تعتبر كل شخص جزائري انسان مشبوه، والإنسان المشبوه لابد ان يكون مجرماً، لذلك لابد ان يقدم للمحاكمة لمحاكمته، ودائماً تكون نتيجة المحاكمة صدور قانون الاعدام وهذه الفلسفة البسيطة لدى الفرنسيين تفسر لنا الاعتقالات الجماعية التي تكاد تحدث يومياً في الجزائر، والتي لايفرق فيها بين الصغير والكبير، بين الرجل والمرأة، فالمشتبه به، وحالما يتم اعتقاله يقتل بتهمة الفرار، واذا لم يقتل وقت اعتقاله ، يتم تعذيبه حتى يصدر قراراً باعدامه، او يموت جراء القسوة في التعذيب[٤٨].بدأت اساليب التعذيب الفرنسية مع بداية الاحتلال الفرنسي، ففي الاعوام ١٨٣٩-١٨٤٨، وكمخطط لاستئصال السكان الاصليين للجزائر، قام الجنرال (بيجو) الذي عرف بوحشيته وقسوته بتطبيق حرب الابادة التي راح ضحيتها عدد كبير من ابناء الجزائر، وبعد الاعتراض على الاثار السلبية لهذه الحرب تمت مناقشتها في المجلس الفرنسي، وقد فسرها رئيس الحكومة في تلك الحقبة المارشال (سولت) بأن هذه جزء من اعمال الحرب خاصة وانهم في افريقيا، وربما تعد هذه الاعمال وحشية لو كانت ترتكب في اوربا[٤٩].وهذا الكلام يفسر لنا الفلسفة التي كانت تسير عليها فرنسا باعتبار ابناء الجزائر اشخاص مشبوهين، فضلاً عن احتقارها لجنسيتهم التي تعد ارتكاب الاعمال الوحشية ضدها جائز، ومحرم على ابناء جلدتها من القاطنين في القارة الاوربية، وهذا ماسوف نلمسه من استعراضنا لبعض من اعمال فرنسا اللا انسانية والتي ارتكبتها طوال حقبة احتلالها للجزائر. واول هذه الاعمال اللا انسانية هي الاعمال التي كان يرتكبها الجنرال (بيجو) ففي العام ١٨٤١، وفي مقاطعة (وهران) تحديداً بقي الجيش الفرنسي يقاتل لفترة طويلة لغرض تدمير ممتلكات القائد الثوري (عبد القادر الجزائري)، فاعتمد الجيش في عملياته على (صيد الرجال) من خلال ابادة قبائل كاملة باستخدام الدخان، حتى ان القائد بيجو وضع جائزة لكل جندي يجلب له رأساً عربية مقطوعة، وهذا ما أكده الجنود الفرنسيون انفسهم، فقد كتب احدهم في مذكراته ((قطعت رأسه ومعصمه الايسر وصلت الى المعسكر احمل رأسه على رأس الحربة ومعصمه معلقاً بسوار البندقية.. تلك الطريقة التي يجب ان تشن بها الحرب على العرب، يجب قتل الرجال حتى سن الخامسة عشر وسبي جميع النساء وخطف الاطفال وتفريغ المساكن منهم وترحيلهم الى أي مكان خارج الجزائر، وبكلمة اخرى يجب سحق جميع الذين لايركعون تحت اقدامنا كالكلاب...))[٥٠].وهذه السياسة كانت لها ابعاد اخرى تتمثل بسعي فرنسا الجاد بالقضاء على الشعب الجزائري وإنقاص عددها بشتى السبل والوسائل، ليحل محلهم ابناء جلدتها سواء من الفرنسيين، او الاوربيين لتغدو الجزائر مستقبلاً ارضاً فرنسية الطابع والسكان.وفي العام ١٨٥٢، وبعد ان ثار ابناء واحة (الزعاطشة) ضد الاستعمار المغتصب لأراضيهم، قامت القوات الفرنسية بالتصدي للثوار بحرب لايعترف بها القانون الدولي او العرف الانساني فاشهرت سيوفها وقطعت رقاب النساء والأطفال والشيوخ، بل حتى الحيوانات لم تسلم من وحشيتها وأحرقت المزارع، وبعد قتال عنيف بين الطرفين، بين طرف استخدم اساليب محرمة وطرق قتال غير شريفة، وطرف آخر قاتل حباً بأرضه، انتهت المعركة بمحو الواحة كلها، فلم يبقى دليل على وجودها، وهذا ما ارادته فرنسا التي وصل الامر بها ان قامت بإطلاق اسم هذه الواحة على احد شوارع العاصمة فرحاً بالانتصار الذي حققته فيها، خاصة بعد ان استطاعت بأسلحتها الفتاكة ألقاء القبض على زعيمها (ابو زيان) وتنفيذ حكم الاعدام فيه، والتنكيل بجثته على مرى من الناس[٥١].لم تكن هذه الحادثة آلا واحدة من سلسلة حوادث لاحقة، فقد كتب احد قادة الجيش الفرنسي قائلاً: ((لقد كانت التسلية الوحيدة التي استطيع ان اسمح بها للجند اثناء فصل الشتاء هي السماح لهم بغزو القبائل المعادية))[٥٢].ان عملية سفك دماء الارواح الشريرة كان هدفاً يسعى الفرنسيون لتحقيقه، فكانت بمثابة صفقة رابحة سعوا دائماً لتحقيقها انها حقاً لمسألة مخزية بحق الانسانية التي وقفت صامتة امام هذه المجازر الوحشية التي لايستطيع أي عقل بشري ان يستوعبها ولاتقبل أي نفس حرة حصول هذه الاعمال التي عدّها الفرنسيون من جانبهم وسام فخر يرفعوه على صدورهم، وهذا ما أكده الملك الفرنسي (شارل العاشر) عندما قال صراحة.((لقد اعتدينا دون أي مراعاة على حرمة الاضرحة والزوايا والمساجد، وعلى المنازل الخاصة التي تعتبر مقدسة عند المسلمين.. لقد ابدنا في مذابح عامة، لمجرد الشك طوائف عديدة من السكان، تبين فيما بعد انها كانت بريئة مما اتهمنا به، ولقد حكمنا جماعة من وجوه القوم وإشراف الأمة ماكان لهم من ذنب الا انهم تقدموا امام بطشنا.. ووجدنا جلادين منا، يقومون بتنفيذ تلك الاحكام))[٥٣].أتوجد حقيقة اكثر من هذا القول، بل أيوجد شاهد على وحشية الاستعمار اكثر من هذا الاعتراف الصريح الذي سجله الفرنسيون بأنفسهم على استخدامهم الوحشية، والقمع ضد ابناء الشعب الجزائري، لقد اكد القادة الفرنسيون انفسهم صحة ماقاله ملكهم، عندما رفع اعضاء لجنة فرنسية (لجنة تحقيق افريقيا) عينهم الملك عقب احتلال الجزائر، تقريراً جاء في بعض نصوصه ما يؤكد وحشية تعاملهم من الشعب الجزائري وأساليبهم اللاانسانية فقد قال احد الاعضاء:

((لو يقف الانسان لحظة متأملاً الطريقة التي عامل بها الاحتلال سكان البلاد لرأى ان سيره لم يكن مخالفاً للعدالة فقط بل كان يخالف العقل ايضاً، حيث اننا على حساب استسلام شريف وعلى حساب ابسط حقوق الشعوب الطبيعية فقد تجاهلنا كل المصالح، فلم نراع حرمة العادات والأرواح.. ولقد القينا في غياهب السجون الانفرادية المظلمة رؤساء القبائل بالرغم مما قدمته قبائلهم لنا من ملاجئ ومؤن.. وبكلمة موجزة لقد تجاوزنا بربرة البرابرة))[٥٤].استمرت فرنسا على نهجها الاستعماري طوال القرن التاسع عشر وحتى القرن العشرين، بل نجدها مع التطور العلمي الذي شهد اختراع الاسلحة الحديثة، تترجم استخدامها للأسلحة من اجل تعذيب ابناء الجزائر لا لذنب اقترفوه بل لأنهم مابرحوا يدافعون عن ارضهم التي ارادت فرنسا، وبشتى السبل والأساليب ضمها إلى أراضيها وجعلها مستعمرة فرنسية، وما حدث عام ١٩٤٥ يؤكد هذا الكلام، فبعد انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الاولى في ٨/مايس/١٩٤٥، تجمع آلاف الجزائريين قرب احد مساجد مدينة (سطيف) للقيام بمسيرة سلمية سبق لمنظميها ان حصلوا على

موافقة فرنستا على تنظيمها، لكن القوات الفرنسية التي جاءت من مدينة قسنطينية لم تمهل المتظاهرين وقتاً لإنهاء مسيرتهم، فنيران رشاشاتهم كانت اقوى من خطواتهم، فخلال دقائق ملأت الجثث شوارع المدينة، واستخدمت ابشع الاساليب في القتل فالأطفال امسكوا من ارجلهم وضربت رؤوسهم بالجدران والصخور، اما النساء فقد أمتهن وانتهكت حرمتهن فقطعت آذ انهن من اجل الاقرط وايديهم من اجل الخواتم، وأرجلهن من اجل الخلاخل، وكان الجندي يتباهى بتلك الغنائم، ويتفاخر بين زملائه، اذا كان قد احرز على عدد كبير منها، مما يعني انه قتل عدد أكبر من الابرياء[٥٥]، والأغرب من ذلك كله ان من كان يحاول دفن جثث القتلى، يكون مصيره القتل ايضاً، وبعد التحقيق في هذه الاحداث كانت المصادر والوثائق التاريخية تشير ان الفرنسيين افزعهم مبادرة الجزائريين للقيام بمظاهرة تطوف الشوارع وترفع الشعارات مما قادهم لتشجيع جنودهم على قتل الجميع، فكانت مذبحة كبرى قدر الجنود الفرنسيون انفسهم بأن عدد القتلى تراوح مابين (٨-١٠) ألاف شخص خلال يوم المظاهرة فقط، ثم توسعت عملية القتل في الايام اللاحقة لتطول الابرياء في القرى والمزارع القريبة، التي ساهم الطيران الفرنسي في تدمير اجزاء كبيرة منها، حتى كانت مجزرة كبرى راح ضحيتها (٤٥) الف شهيد، ومن الروايات التي تبين بشاعة الحدث ان عقيداً فرنسياً كان مسؤولاً عن دفن القتلى، تعرض للوم لتقصيره في اداء عمله، فأجاب قائلاً: انكم تقتلون بأسرع من طاقتنا على الدفن[٥٦].ولم يقف الامر على هذا العدد المهول من القتلى بل تجاوزت فرنسا وحشيتها بقيامها بعد هذه المجزرة باعلان الاحكام العرفية، وإلقاء القبض على (٤٥٠) شخصاً، نفذ حكم الاعدام بـ (٩٠) شخصاً فيما حكم على (٦٤) اخرين بالإشغال المؤبدة، أما البقية فقد نفذت فيهم احكام مختلفة.ان ما قامت به فرنسا بهذه المذبحة، كان عملاً اعتادت القيام به في مناطق اخرى من الجزائر فلم يكن حدثاً غريباً، فهناك عدد كبير من القرى التي وقعت فيها ثورات ضد المستعمرين، وغالباً ما كانت فرنسا تنهزم فيها، مما يضطرها للرحيل تاركة اسلحتها غنيمة للمجاهدين الجزائريين، لكنها سرعان ماتعود للانتقام من هزيمتها بطرق وحشية استعمارية تقوم على اخراج الاهالي من بيوتهم المتواضعة لغرض تفتيشها وبالتالي نهبها، ثم يبدأ دور الطائرات التي تلقي قنابل الغاز الحارق ترافقها المدفعية التي ترمي القنابل لإحراق بيوت الأهالي، اما الجنود فيلجئون للتنكيل بالأهالي، واذا ما اعترض شخص ما على هذه الجريمة يكون مصيره القتل، وغالباً مايطلبون من الاهالي، بعد انتهاء اعمال النهب والحرق والقتل، الرحيل عن اراضيهم[٥٧]، ليتمكنوا من ضمها لمجموع الاراضي التي استولوا عليها، وبالمقابل تزداد اعداد العوائل المشردة والنازحة.وبعد اعلان الثورة الجزائرية الكبرى في العام ١٩٥٤ والتي قادت في نهاية المطاف لاستقلال الجزائر في العام ١٩٦٢، بعد ان سقط مليون شهيداً دفاعاً عن استقلال بلادهم، فقد زادت فرنسا من جانبها من اعمالها الوحشية التي بدأت تأخذ اساليب غير مسبوقة ولم تعرفها البشرية ابداً، وخاصة ضد المناضلين، فيذكر كاتب فرنسي في كتابه الموسوم (المجندون).((نحن الان في وادي الصمام بالجزائر، وقد جيء بثلاثة من الوطنيين الجزائريين وأمرهم الجند الفرنسيين بحفر حفرة تم دفنوهم فيها الى العنق وبقيت رؤوسهم معرضة لوهج الشمس. ووضعوا امام كل منهم وعاء به ماء يبتعد عن فمه نصف متر، وقيل لهم انهم لن ينالوا شيئاً الا اذا تكلموا وظلوا على هذا الحال يومين كاملين ولم ينبس اثنان منهم ببنت شفة فاعدما وهما على تلك الحالة. اما الثالث فقال بعض كلمات في آخر لحظة ثم اعدم ايضاً على اثر ذلك))[٥٨].واعترف الفرنسيون انفسهم بأنهم كانوا يقومون بإعمال التعذيب للحصول على المعلومات وخاصة من رجال جبهة التحرير الوطني[٥٩] فقد نشر احد الضباط الفرنسيين (بيار اليولات) وثائق عن حرب الجزائر بعنوان (وثائق الجزائر Documents Algeria) اعترف فيها بأن التعذيب كان من الطرق الرسمية التي تستعمل للبحث عن مايسمى بالاستنطاق للحصول على المعلومات التي من شأنها التقليل من العمليات الفدائية، لذلك فأن فرنسا كانت تدأب على تأسيس مؤسسات للتعذيب اكثر من تأسيسها للمدارس والمستشفيات، فلا تخلو أي ثكنة عسكرية من غرفة التعذيب التي تكون مجهزة بأحدث وسائل التعذيب،... ويضيف بأن هناك رجال ذوي مواصفات خاصة كانوا يقومون بهذه الاعمال فكانوا ينامون في النهار ليتسنى لهم في الليل قتل الابرياء وانتهاك المنازل الخاصة او جلب المشتبه بهم لتعذيبهم في غرف التعذيب الخاصة[٦٠].

واختلفت اساليب التعذيب وطرقه فهناك اللكمات، الضربات بالدبوس، ماء يبتلع بالقوة، تعليق الاذرع او الارجل، كهرباء في الاصبع، وعلى الاذن، ضرب بالسياط على اخمص القدمين وعلى الاجزاء الجنسية، وبعد الانتهاء من ذلك كله يغرس سكيناً بين الكتفين[٦١].وشهد جندي فرنسي على صحة اساليب التعذيب السالفة الذكر، حينما اكد ان التعذيب يمر بمراحل فالبند الاول تعليق المشتبه به من رجليه وهو عاري من الملابس، ويده مكتوفة للوراء، ثم يغمس الرأس لمدة طويلة في الماء ليجبر على الاعتراف، اما البند الثاني من التعذيب، فهو التعليق والأيدي والأرجل مربوطة للوراء والرأس الى فوق هذه المرة، ثم توضح تحتهما مسامير ويؤرجح الشخص بواسطة اللكمات فوق المسامير، مما يجعل اعضاءه الجنسية تحتك بالمسامير، واذا فشلوا بالحصول على معلومات تقودهم الى قادة الثورة يكمل التعذيب في المساء[٦٢].

وكتب ضابط فرنسي اخر من الفرقة العاشرة رسالة بتاريخ ٦/حزيران/١٩٥٦، يصف فيها اساليب التعذيب، يذكر فيها: لم يصبني ملل في الحياة مثلما اصابني في الجزائر، فان الالمان النازيين في وحشيتهم القاسية ليسوا الا اطفالاً صغاراً امامنا... رأيت بعيني اجراءات المكتب الثاني لجنود المظلات الذي كان يعذب الوطنيين طوال اليوم بأبشع الوسائل لإرغامهم على الكلام، وذلك بوضع ماسورة في فم الوطني تحت ضغط الماء حتى يخرج الماء من جميع منافذ الجسم، والأيدي مكتوفة وراء الظهر، ثم يعلق من رأسه حتى تخرج المفاصل عن مواضعها، فحينذاك ينهال عليه الجنود ضرباً لاهوادة فيه ولارحمة، وان لم يقر بشيء يرضيهم يجرون عندئذ اشد الاعمال فضاعة، ألا وهي الكهرباء في رأسه ورجليه حتى يكاد يموت[٦٣].ويعترف جندي آخر، فيقول: لقد اوتي برجل لاستنطاقه، فنزعت عنه كل ثيابه واوثق كتفاه والقي ارضاً بعد ان لطخوا جسمه بالمربى وبقي طيلة يوم كامل معرضاً للشمس في شهر تموز المعروف بحرارته العالية في غالبية مناطق الوطن العربي، والتي تتجاوز احياناً ٥٠°، فكانت اسراب الذباب تروح وتغدو عليه، وبعد هذا العذاب يأمر قائد الفرقة العسكرية بإطلاق سراب من النحل عليه اذا لم يعترف[٦٤].ومن الأساليب الاستعمارية التي استحدثتها فرنسا خلال الثورة الجزائرية، اسلوب حربي عرف باسم (التربيعة) والذي يقصد به تحديد مربعاً فوق الارض التي تحدث فيها ثورة ويحاط هذا المربع بالجنود، وتوجه حوله المدافع والطائرات، وفي وقت محدد تنطلق القوات البرية والجوية في ذات الوقت على هذا المربع فتحوله بلحظات قليلة الى حطام، وكان هذا الاسلوب الحربي قد اعتادت فرنسا على تطبيقه في المناطق الشمالية والشرقية من الجزائر، فكان من نتائجه استشهاد (١٣٠) الف جزائري خلال الاعوام ١٩٥٤-١٩٥٦[٦٥].فضلاً عن نظام (التربيعة) فقد كان هناك اسلوباً اكثر خطورة هو (خط مورنيس)، فبعد اكتشاف فرنسا

بتهريب الاسلحة والذخائر لجنود الثورة عبر الحدود مع تونس، وكوسيلة منها لمنع وصول هذه الامدادات فقد اقدمت على بناء اسلاك شائكة مكهربة تفوق قوتها (٥) آلاف فولت في منطقة الحدود مع تونس، ويمتد هذا الخط الذي عرف بهذا الاسم نسبة الى صاحب الفكرة الجنرال (شارل موريس General Challe Mourice) من البحر الابيض المتوسط شمالاً حتى الصحراء جنوباً، ويعد احدث ما توصلت اليه التكنولوجيا العسكرية في ذلك الوقت، وبعد عام أي في عام (١٩٥٨) بني جدار مشابه له في منطقة الحدود مع المغرب، وقد فقدت الثورة نتيجة لبناء خط موريس (٦) آلاف شهيد خلال سبعة اشهر من عام ١٩٥٨[٦٦].هذه روايات بسيطة عن اساليب التعذيب التي ارتكبت بحق الابرياء من ابناء الجزائر، والتي راح ضحيتها اعداد كبيرة، فقد قدر الصحفي الانكليزي (جون جنبل) الذي كان مهتماً بأمور ثورة ١٩٥٤ الجزائرية، ، بأن متوسط عدد القتلى في العام ١٩٥٤ كان يزيد على مائتي قتيل في الشهر الواحد، وزادت هذه النسبة الى اكثر من خمسة اضعاف في عام الثورة الثاني (١٩٥٦) لتصل النسبة الى (١٤٠٠) قتيل في الشهر الواحد، وبعد اقل من عام وصل العدد في الشهر الواحد الى (٢٦٠٠)[٦٧] قتيل، حتى وصل عدد القتلى مع اعلان الاستقلال مليون شهيد، سقوا بدمائهم الطاهرة ارض بلادهم من اجل ثمن غالي هو الاستقلال وطرد المستعمر. لم تقتصر اعمال التعذيب على الجزائريين العرب، بل كان للأحرار الفرنسيين نصيبهم منها، فمن اوائل الفرنسيين الذين تعرضوا للتعذيب، الاستاذ (موريس أودين Mourice Audin) الذي كان عضواً في الحزب الشيوعي الجزائري، واستاذاً في جامعة الجزائر، اعتقل عام ١٩٥٧ وتمت ادانته وتلقى سيلاً من عمليات التعذيب بتهمة مساعدة اعضاء جبهة التحرير الوطني، وبقي يعذب حتى وافته المنية، ودفن سراً[٦٨] ليدفن معه سر تعذيبه وحقيقة الامر، ان هذه الاعمال زادت الجزائريين حماسة، وقوة عزيمتهم لإكمال المسيرة التي بدءوها منذ عام ١٨٣٠، فعندما كانت فرنسا تنفذ حكم الاعدام برجال الثورة[٦٩]، لم يفكر من يصدر بحقه حكم الاعدام الدفاع عن نفسه لتغيير الحكم الصادر بحقه، بقدر ماكان يفكر بكل اعتزاز بأنه سيسقط شهيداً من اجل الجزائر، والأمثلة على ذلك اكثر من ان تحصى في وريقات، فهناك البطل (ببوش)، الذي لاتزال كلماته التي قالها في محكمة العاصمة، عندما كان يحاكم عام ١٩٥٥ نبراساً ومثلاً يحتذى به الاخرون، فقال في كلام وجه لأعضاء المحكمة:"انني لست متمرداً، ولست خارجاً عن القانون، أنني جزائري حمل السلاح لتحرير بلاده وتحرير اخوانه من السيطرة ومن الاستعمار الذي اثقل كاهلهم منذ اكثر من قرن، اما الخارجون على القانون ، وأما المجرمون فهم اولئك الذين يضطهدون ويقتلون شعباً يعد عشرة ملايين نسمة، يريد حريته واستقلاليته)[٧٠].ما قاله المناضل (ببوش)، وهو الحقيقة التي كان يرددها كل مناضل جزائري حمل السلاح لتحرير الجزائر، وهي ذات الحقيقة التي قالها احد احرار فرنسا انفسهم من وقفوا مع مناضلي الجزائر بطرقٍ شتى، فكان ابرزها القلم الذي بواسطته كتب الاحرار الحقيقة ليطلع عليها العالم اجمع، ويقف موقف الضد من فرنسا وأساليبها الاستعمارية التي كانت ترتكبها داخل الجزائر، ولعل ابرزهم الكاتب (بيير هنري سيمون) الذي الف كتاباً نقل فيه حقائق عن الاساليب اللاانسانية التي ترتكبها فرنسا في الجزائر وأطلق عليه عنوان (ضد التعذيب في الجزائر)، جاء في مقدمة الكتاب:((سأكتب هذا الكتاب، وليس بدون سبب، فأنا اعلم ان الكلمات ستمزقني في الغالب، واعلم أنني سأثير ضدي غضباً سوف ينفجر شتائم ومطاعن، ومع ذلك يجب ان ارفع صوتاً يخنقني، منذ ما ازعجت ضميري كفرنسي معرفة بعض الاعمال، ان على الكاتب ان لايفعل ذلك ابداً بدافع التسلية ... بل لأجل خدمة الروح... ان مايستوجب الذم ويدعو للحزن وهو روح من القسوة والانتقام في سلوك الحرب... واذا وجد فرنسيون يتقلدون سلطة او قيادة ويرتكبون اعمالاً ضد حقوق الانسان وضد الانسانية، واذا اختبأ الرأي العام في خزانة وقال لانريد ان نعلم... وقال انها الحرب فأنني اقول اننا نتحمل مسؤولية سياسية وأخلاقية... وأقول وبمزيد من الصراحة انني املك البراهين على الاعمال التي اعترض عليها فهي ليست اخطاء اخلاقية فقط ولكنها اخطاء سياسية يصيب الامة ومنها ضرر مزدوج))[٧١].وقد اطلعنا، والعالم بأسره، عن حقائق تدينها البشرية من الاعمال الوحشية واللا انسانية التي كانت ترتكب ضد احرار الجزائر، والتي كان مصير من يتعرض لها الموت المحقق، فكان كتاباً صادقاً بكل حرف وكلمة وردت فيه، فقد حاول كاتبه الوصول للحقيقة ليعرضها على الرأي العام ليقول كلمته وينهي المجازر التي كانت ترتكب في الجزائر.اما الفيلسوف الفرنسي الشهير (جان بول سارتر) (١٩٠٥-١٩٨٠) فقد جند قلمه للدفاع عن حقوق الشعب الجزائري المغتصبة فكانت له مواقف ايجابية تجاه الثورة الجزائرية، ومنذ العام ١٩٥٦ عندما وجه اهتمامه بالبنية التحتية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للشعب الجزائري، وفي الاعوام ١٩٥٧-١٩٥٩ ركزت كتاباته على طرق التعذيب، وأصبح مهتماً بشعب فرض عليه القتل الجماعي والتعذيب والتشريد، لذلك الف كتاباً اطلق عليه اسم (سجناء الطونا) والذي قارن فيه بين الجرائم التي ارتكبتها النازية في فرنسا وبين المجازر التي ترتكب داخل الجزائر، وتوصل الى نتيجة مفادها ان جرائم النازية كانت ارحم بكثير من الجرائم التي ترتكب في الجزائر، والتي تعد مسؤولية تاريخية يتحملها الجميع اما في الاعوام (١٩٦٠-١٩٦٢) فقد ركزت كتاباته على العنف وتنوع اساليبه وبدأ سلسلة من الاعمال لدعم نضال الشعب الجزائري، ففي عام ١٩٦٠ قام بزيارة لكوبا، القى فيها، وتحديداً في جامعة هافانا، محاضرة ندد فيها بالسياسة الفرنسية في الجزائر، وفي العام ١٩٦١ شارك بمظاهرة سلمية احتجاجاً على القمع والقتل الجماعي في الجزائر[٧٢].ونتيجة لمواقفه ضد سياسة فرنسا، فقد كان مهدداً بالموت من قبل انصار (الجزائر الفرنسية) الذين كانوا ينادون في مسيراتهم بشارع الشانزليزيه Champs-Elysées الموت لسارتر، ولكنه من جهة اخرى وكتثميننا لكتاباته السياسية ونشاطاته الثقافية تجاه القضية الجزائرية، فقد حصل على جائزة أميغا (The Omega Price) من منطقة ميلانو الايطالية.

المبحث الثاني

دور المرأة في حركة النضال الجزائري

حيث حديثنا عن نضال الشعب الجزائري خلال سنوات الاحتلال الفرنسي التي امتدت الى اكثر من مئة عام، لانستطيع اغفال الدور المهم الذي لعبته المرأة الجزائرية في عملية المقاومة، فقد سجلت صفة مشرقة من صفحات النضال الثوري، فمثلت المرأة الجزائرية صور لنضال المرأة العربية ضد الاستعمار، وهي بذلك اكدت مساواتها للرجل، وإنها ابنة الجزائر، ومن واجبها الدفاع عن ارضه وترابه، وهي بنضالها المتميز فتحت باب التاريخ وسجلت صفحات مشرفة من النضال ضد المستعمر الفرنسي.ونحن حينما نسلط الضوء على نضال المرأة، والذي يعني بمجمله شمول قاعدة عريضة من النساء تتمرس على العمل السياسي وتندمج معه من خلال مشاركتها في العمليات الفدائية الهادفة للاستقلال، لانعني بالضرورة ان كل من تحمل السلاح هي مناضلة، وكل من

تشارك في العمليات القتالية في الثورات والمظاهرات هي فدائية[٧٣]، فأم الفدائي وزوجة المناضل او شقيقته او ابنته، والطبيبة والممرضة كل هؤلاء ينخرطن تحت مسمى المناضلة، فالمرأة الجزائرية كانت مناضلة بكل ماتعنيه هذه الكلمة من معاني فعلى الرغم من معيشتها في مجتمع كان يعاني من الجهل والتخلف والجمود والكبت والحرمان نتيجة الاستعمار، لكنها قاومت هذه الظروف التي كانت تحد من تقدمها لتنطلق وتدافع عن تربة وطنها، فسلاحها لم يكن الرشاش او المدفع بل ارادتها القوية وإيمانها بقضية شعبها[٧٤]، فأثبتت بذلك شخصيتها المتميزة والتي كان لعملية النضال الثوري دور في بلورة ونضج هذه الشخصية التي لعبت دوراً بارزاً، وبشكل خاص ثورة عام ١٩٥٤.ومن جهة اخرى كانت مشاركتها النضالية رداً على الادعاء الباطل الذي كان يلاحقها طويلاً، والذي يؤكد ان المرأة الجزائرية تعيش على هامش الحياة، ولا دخل لها بأمور المجتمع لأنها متغيبة عن ميادين الحياة، فعلى العكس تماماً نجد ان عزلتها كانت الدافع الحقيقي وراء الروح النضالية العالية التي اتسمت بها المرأة الجزائرية بل وهناك الادلة الحية التي سوف نوردها، مايؤكد ان المرأة لم تكن تعيش حالة من العزلة عن مجتمعها، بل كانت لها مساهمتها في ميادين المعركة الحقيقية دفاعاً عن وطنها منذ دخول القوات الغازية الفرنسية ارض الجزائر عام ١٨٣٠، ففي حركة المناضل الكبير (عبد القادر الجزائري) كان للمرأة مساهمتها الفعالة والواضحة، فقد كانت النسوة يسرّن في مؤخرة الجيش لأعداد الرصاص ومعالجة الجرحى والمرضى، بل وتجاوز دورهن التقليدي هذا بأن اخذن مكانهن في صفوف القتال الامامية بين صفوف المقاتلين، بعد ان كن يرتدين ملابس مشابهة لملابس الرجال منعاً من معرفتهن ومنعهن من مواصلة القتال[٧٥].

وفي العام (١٨٥٧) وتحديداً في جبال الجرجرة، برزت البطلة (لالا فطامة اتسومر)، التي قادت مجاهدي قبيلتها (ايليثي) في ثورة عارمة ضد الفرنسيين، فحققت عليهم انتصارات باهرة، فقد حاولوا عبثاً القضاء على ثورتها مما اضطرهم في نهاية الامر، الى خروج الحاكم الفرنسي العام (راندون) بنفسه لمواجهة (لالا فاطمة)، وبعد عدة معارك، كانت الغلبة فيها للقنابل والرشاشات الفرنسية، تم أسر البطلة (لالا فاطمة)[٧٦]، بعد ان اثبتت خلال المعركة شجاعة قلما نجدها في نساء اخريات حتى ان الفرنسيين كانوا يرمزون لكل امرأة جزائرية باسم فاطمة، ونجد في كتابات الكثير من المؤرخين والأدباء الفرنسيين ورود كلمة (الفاطميات LesFatmas) والتي تعني المرأة الجزائرية[٧٧]، الامر الذي يدل على عظم التأثير الذي تركته (لالا فاطمة) على الفرنسيين، وبالفعل فقد كانت تمثل كل الجزائريات اللواتي كن يرغبن بمقاومة المستعمر بأي طريقة او أي شكل من اشكال المقاومة.

وبعد عامين من أسر البطلة (لالا فاطمة) تبرز بطلة اخرى هي الاميرة (عائشة الجزائرية) التي وقفت ببسالة ضد المستعمرين ونجحت بجمع الرجال حولها مثيرة فيهم روح العزيمة والنضال ومازالت بدعوتها حتى جمعت حولها الف رجل، استطاعت معهم خوض سلسلة من المعارك ضد الفرنسيين فضلاً عن محاصرة المركز العسكري الفرنسي في منطقة (فورناسيونال)[٧٨].وتمضي سنوات الاحتلال، وتزداد المرأة الجزائرية اصراراً على مواصلة المسيرة مع اخيها الرجل لتحرير البلاد، وتتحرر هذه المرأة من صمتها لتبدأ مشواراً نضالياً جديداً، تحتمه التطورات العامة التي طرأت على المجتمع، فنجدها ولأول مرة تخرج بمظاهرة عامة شاركت فيها ألاف النساء عام ١٩٣٩، اثر الازمة الاقتصادية العالمية، رفعت فيها شعار المطالبة بالأرض والخبز والحرية[٧٩]. فكانت تجربة نضالية جديدة على المرأة فتحت امامها ابواباً جديدة للنضال وهذا ماتحقق بعد فترة زمنية قصيدة، وتحديداً عند اندلاع الثورة الجزائرية الكبرى عام ١٩٥٤، والتي كان للمرأة شرف المساهمة الفعالة فيها، فبد اتساع نطاق الثورة، اصبحت الحاجة ماسة لمهمات جماعية تقوم بجمع الاموال او التجسس او تكوين تشكيلات سرية واسعة، الامر الذي دفع رجال الثورة، وبعد تردد طويل، الاستعانة بالمرأة لتشارك معهم في هذه الاعمال البعيدة عن ساحات القتال، في البداية اقتصر الامر على زوجات المناضلين، لكن اتساع الثورة جعل المشاركة نساء عدة، دون الفتيات، لكن الفتيات، وجدن في العمل العسكري ضالتهن فبدأن يتطوعن وبنسبة كبيرة جداً.

من خلال جبهة التحرير الوطني، التي قادت نضال الشعب الجزائري حتى الاستقلال، نمت الحركة النسائية ونشأت اول منظمة نسائية تابعة لجبهة التحرير الوطني والتي تحولت بعد الاستقلال الى الاتحاد النسائي الجزائري[٨٠]، وقد تنوعت الاعمال او الادوار التي قامت بها ضمن اطار جبهة التحرير مثل التمريض الذي يعتبر من العوامل الحاسمة في استمرار المعركة فضلاً عن القيام بالإعمال القتالية والفدائية، فقد قمن في كثير من الاحيان بمهمة ضابطة اتصال بين الخلايا لنقل الرسائل بين الثوار، او لحمل الاموال للثوار، وباستمرار الثورة واستقرار انماط المقاومة، يصبح حجاب وعباءة المرأة اللذان وصفا من قبل الفرنسيين بأنهما رمز التخلف، يصبحان سلاحين ضمن اسلحة المقاومة، فتحت العباءة تستطيع المرأة اخفاء الرسائل والمنشورات بل وحتى الاسلحة التي تستطيع نقلها من مكان الى آخر، وهذا ما اعتمد عليه المناضلون الذين كانوا في الاعم الاغلب معروفين لدى البوليس الفرنسي الذين لايبرحون ان يفتشوهم في كل مرة، لذلك اعتمدوا على المرأة بنقل مايحتاجون من اسلحة لمقاومة المستعمرين والتي لايفكر البوليس بخطرها ولايفكر بتفتيشها، وعند وصولها المنطقة محددة تتسلم السلاح للمناضلين لينفذوا به مهامهم القتالية[٨١].اما بالنسبة لعمليات المقاومة داخل الحي الفرنسي، فنجدها تتخلى عن حجابها وتتقلد بالنساء الفرنسيات من خلال ارتدائها الزي الاوربي لتبعد عنها الشبهات، وتحمل القنابل اليدوية، او البنادق سريعة الطلقات، وتتنقل عبر الطرقات، حيث لايستطيع الرجل الجزائري او المرأة المحجبة الوصول هناك لأنه سيكتشف آمرهم سريعاً، أما المرأة غير المحجبة التي تتميز بالجرأة والبطولة، فتعرض بعملها هذا نفسها للهلاك لتقوم بأعمال فدائية ضد المستعمر في داخل حيه السكني[٨٢].

لم تقتصر ملاحم المرأة على مراكز المدن، بل امتدت للجبال والقرى والأرياف حيث آخذت مراكز السلطة وتولت ادارة القرى في غياب رجالها فضلاً عن قيامها بعمليات التمريض وإخفاء جرحى الفدائيين عن أعين قاتليهم، لذلك كانت لها حصتها في عمليات التعذيب، فحين تشتد اوار المعركة لم يعد الفرنسي يميز بين المرأة او الرجل وبين الطفل او الشيخ عندما كانوا يصوبون بنادقهم نحو كل اتجاه في شوارع الجزائر، حتى يزرعوا الخوف فيمن بقي منهم على قيد الحياة.وتصف لنا المجاهدة (مزياني مداني لويزة) الاعمال التي تقوم بها المناضلة الجزائرية بقولها:(ومنهن من تعمل في جهاز الاتصال بين العاصمة والجبل بين المجاهدين وأهلهم او اصحابهم في النضال فكانت الرسائل تروح وتجيء في سرية وبطرق غير مشكوكة ألا نادراً....)[٨٣].وتضيف ايضاً، موضحة لنا الدور الآخر الذي تقوم به المناضلات، خاصة اللواتي يستخدمهن الجيش الفرنسي لغسل ملابس الجنود، حيث كنّ يستولين على كثير من الملابس لغرض ارسالها لجيش التحرير فضلاً عن تهريب المئونة والذخيرة وتدبير هروب الشبان وتسهيل انضمامهم لصفوف جيش التحرير. يضاف للإعمال السالفة كلها دورها الانساني فهي تساهم بكل جوارحها ومشاعرها عندما تودع زوجها او فلذات اكبادها لساحات القتال، وهي نفسها التي تستقبلهم بالزغاريد والدموع عند استشهادهم، فتجدها صابرة جلدة، بل

وأكثر من ذلك كله فهي تتحمل عمليات التعذيب عندما يقوم الفرنسيون بالانتقام منها بعد معرفتهم بأن بيتها خرج منه مجاهد، سواء كان زوجاً او اباً او ابناً، فيصب عليها انواع الانتقام من تعذيب واستنطاق حتى ذهبت كثيرات منهن شهيدات جراء عمليات التعذيب هذه(٨٤).وكان للأدب والشعر، والقصة القصيرة دورها في تخليد نضال المرأة الجزائرية، ومساهمتها في الثورة، وكيف انها كانت مستهدفة من قبل المستعمر، لذلك كتبت قصائد كثيرة في هذا المجال، ومنهم الشاعر (محمد شمس الدين)، الذي نشر قصيدة وبين فيها الظلم الذي تتعرض له المرأة الجزائرية، مبتدأ قصيدته قائلاً:

في بلادي..
في بقاع سميت (أرض الجزائر)
حيث للتاريخ محراب ... وللفكر منابر
تنسج الاقدار فيها، قصة لحمتها نار المنون
وسداها الثائرون

ثم ينتقل ليصور لنا من خلال ابيات الشعر، قصة حقيقية تعرضت لها المرأة الجزائرية، عندما التقى بها جنديان في الطريق، وكانت (حبلى) فأوقفوها و تراهنا على جنس الجنين الذي تحمله هو ذكر ام انثى، وليتأكدا من ذلك قاما بشق بطنها واستخراج جنينها، لتطرح معه على الارض طريحة للطيور والذئاب، صور لنا هذه الجريمة البشعة من خلال ابيات الشعر:

في بلادي.. حيث تاريخ الملاحم
نقل الناس حكاية...
هي: جنديان من جند الدخيل
غشيا ارض المدينة
وإذا في الدرب حبلى لمحاها اوقفاها..
وانبرى الاول يحكي: هل تراهن؟!
يارفيقي.. لو بقرنا بطنها
هل نرى (أنثى) إذا بقرنا بطنها
ام نرى فيه (عدواً) ذكرا
يا ر فيقي! ... لو ترى..
فأجاب الاسود الرعديد.. هيا!
وانتزع احشاءها شيئاً فشيئاً ..
ولتكن (عشر فرنكات) رهاناً .. لمجلي
.. وانتضى الاخر من اوسطه
حربة مسمومة ذات شفار
ثم شنق البطن.. مزهواً .. فقد حاز انتصار
تاركاً للطير أماً، وجنيناً، ونثار(٨٥)

اما في مجال النثر، فقد تنوعت الاعمال مابين القصة والرواية والمسرحية التمثيلية التي تصور نضال الجزائريات، وما يتعرضن له من اعمال التعذيب والتهديد، فكانت هناك مسرحيات عديدة، فيها مقاطع تمثيلية توضح الاساليب التي تعامل بها فرنسا نساء المجاهدين، والتي غالباً ما تستفزهن بتهديدها بصغارها اذا رفضن خيانة زوجها او وطنها، فهناك مشهد تمثيلي يصور هذه الحالة جاء به:

(... وألان الا تعترفين؟ يتناول الجندي الصبي ويخاطب امه، أنت أيتها البشعاء المترهلة تحدثي اين يختبئ زوجك؟ تحدثي والا سوف أذبح صغيرك فوق فخذيك. (يخرج المدية ويضعها فوق عنق الصغير"...)(٨٦).

هذه مقتطفات من اعمال ادبية صورت لنا ما تعرضت له المرأة الجزائرية عامة من اعمال لا إنسانية يندى لها جبين البشرية خجلاً، على ان هناك اسماء نساء اخريات يحتم علينا واجبنا الانساني اولاً والتاريخي ثانياً ان نسجل نضالهن من اجل استقلال الجزائر، ولعل ابرزهن المناضلة خالدة الذكر (جميلة بوحيرد)

المناضلة جميلة بوحيرد أنموذجاً لنضال المرأة الجزائرية

حياتها ونشأتها ودورها النضالي

كثيرون يعتبرون ان جميلة بوحيرد ابرز المناضلات من اجل الحرية في القرن العشرين، لكن المعلومات المتوفرة عن هذه البطلة التي دخلت التاريخ من اوسع ابوابه في خمسينيات وستينيات القرن الماضي، قليلة الى حد كبير، ولأسباب غامضة للغاية، وفي الواقع يبدو وكأن ستاراً يلف عمداً عليها وحولها في محاولة لطمس اسمها ورفعها الى زوايا النسيان. فالمعلومات المتوفرة عن دورها في ثورة التحرر لاتتجاوز السطور القليلة المتناثرة هنا وهناك. ولربما يكون من السهل جداً على المرء ان يعثر على معلومات غزيرة ومفصلة عن الكثير من رفاق جميلة في النضال ممن لعبوا ادواراً اقل اهمية من دورها. وذلك في النتيجة يثير العديد من التساؤلات عن الاسباب والدوافع، خصوصاً انه في كل مدينة او بلدة عربية لاتخلو من شارع او مدرسة يحملان اسم هذه المناضلة.وقد يكون من السهل علينا ان ندرك اسباب محاولات تجاهلها لو اخذنا في اعتبارنا حجم ماقدمته جميلة للثورة الجزائرية، حتى بعد اعتقالها او خلال محاكمتها او سجنها، ومدى اسهامها في نجاح الثورة، وفي وقت لاحق في ترسيخ اهمية النضال الوطني ضد الاستعمار. لكن مايحزن في الامر ان الدوائر الرسمية في الجزائر، والتي قاتلت جميلة من جل تحريرها تعتذر، بأدب مبالغ فيه، عن توفر معلومات عن جميلة بوحيرد، لتعرض بدلاً عنها معلومات عن شخصيات اخرى، وقد زاد الطين بله أن مسؤولاً في احدى سفارات الجزائر ابلغنا ان الشيء الوحيد المتوفر عن جميلة هو ان اسمها ورد لديهم في قوائم شهداء الثورة، في حين انها مازالت على قيد الحياة. لذلك جهدنا بجمع الاسطر القليلة التي كتبت عن نضال هذه المرأة لتقدم صورة، ولو بسيطة عن امرأة ناضلت مع ملايين اخريين لاستقلال بلادها.

حياة جميلة بوحيرد ونشأتها

ولدت جميلة بوحيرد في العام ١٩٣٥ في منطقة زنقة الرمانة الواقع في مدخل حي القصبة الشهير في العاصمة الجزائرية، وهي البنت الوحيدة بين سبعة شبان انجبتهم امها، ذكرت الامصار اسماء خمسة منهم: نور الدين (طالب فلسفة في باريس)، لياس (عذب ليلة كاملة من قبل الفرنسيين بعد القاء القبض على اخته وكان عمره خمسة عشر عاماً)، هادي، عزيز، ونادر[٨٧].نشأت جميلة تنشئة هادئة في اسرة متوسطة الحال، بين أب كان مغرماً بالرياضة التي اهلته لامتلاك روح رياضية هادئة بعيدة عن السياسة والثورة، وأم زرعت فيها حب الجزائر، فهي التي انتفضت غاضبة عندما سمعت جميلة تردد في كتاب التاريخ عبارة (اسلافنا هم الغال) أي الفرنسيون الذين يرجع اصلهم لشعوب الغال، فقالت لابنتها ان الجزائر وطنك، والعروبة هويتك، والإسلام دينك[٨٨]. اما عمها (مصطفى) فتعلقت به تعلقاً زاد على تعلقها بوالدها ووالدتها، وكان الذي تولى تربيتها منذ الصغر زارعاً فيها الروح الوطنية المتحمسة، فهو من السياسيين الناشطين، الذين كان له شرف المساهمة في ليلة الثورة الاولى في (تشرين الثاني ١٩٥٤)، ولأنه كان مصاباً بمرض في الاعصاب، فلم يكلفه رفاقه المناضلين بأعمال ثورية حفاظاً على صحته الامر الذي حز بنفسه، لكنه وجد بأبنة أخيه جميلة ضالته التي ينشدها فعمل على ادخالها بصفوف جبهة التحرير حباً لها وتقدير لإخلاصها في العمل الثوري حتى وصل الامر به انه كان يقدسها اكثر من أي شخص آخر[٨٩].تلقت جميلة تعليمها الابتدائي بمدرسة فرنسية، وهو حال بقية ابناء الجزائر، ولكنها كانت متمسكة بقوميتها وانتماءها للجزائر ففي طابور الصباحي المدرسي كان الاطفال يرددون (فرنسا امنا) باستثناء طفلة واحدة كانت تصرخ وتردد بصوت واثق (الجزائر امنا) فما كان من ناظر المدرسة الفرنسي ألا أن يخرجها من الطابور ويعاقبها عقاباً شديداً ولكنها بقيت تردد (الجزائر أمنا)[٩٠].واصلت تعليمها المدرسي فالتحقت عام ١٩٥٠ بمعهد الخياطة والتفصيل فقد كانت تهوى الرسم وتصميم الازياء، وتعرفت في المعهد على فتيات اوربيات وكانت لها معهن علاقات صداقة طيبة، وكانت طالبة متميزة حتى انه يوم محاكمتها، خصصت استاذة الجغرافية الفرنسية حصة كاملة تكلمت لطالباتها عن (جميلة) واجتهادها الذي كان مدعاة للفخر، حتى للمعلمة نفسها التي تفتخر بأن جميلة كانت احدى طالباتها[٩١] فجميع منتسبي المعهد كانوا يحترمونها لسيرتها المثلى، فقد فرضت هيبتها واحترامها على الجميع، وامتلكت جمالاً مميزاً، ساهم اختيارها للذوق الرفيع في اختيار الملابس ذات طابع الاناقة في ابراز جمالها اكثر، وكانت تمتلك مشية متأنقة فقد كانت تمارس الرقص الكلاسيكي فضلاً عن براعتها في ركوب الخيل[٩٢].امتلكت جميلة اخلاقاً وخصالاً عظيمة برزت خلال عملها النضالي، والتي جعلتها تمتلك شخصية قوية اجبرت الاخرين على احترامها وتركت بصماتها الواضحة على بنات جنسها، فهي شجاعة وهادئة وصبورة وقوية الاعصاب، فضلاً عن امتلاكها روح الفكاهة فعندما يحل بالمناضلين أي مكروه تحاول الترفيه عنهم لنسيان متاعبهم وهمومهم، وفرضت شخصيتها القوية حتى على الجنود الفرنسيين انفسهم فقد ذكر احد رفاقها في جبهة التحرير ما يؤكد ذلك، بقوله: ((كانت هناك دوريتان عسكريتان فرنسيتان تحرسان بالتناوب النهج الذي تقطنه جميلة في مدخل حي القصبة وكانت ورغم ماهو معروف عن الجنود الفرنسيين من معاكسة النساء، فأن واحد منهم لم يجرأ في يوم من الايام على ان يوجه لها اشارة او يسمعها كلمة او يركز فيها نظره. لقد كانت تفرض عليهم ان يحترموها وكان لها شيء يشبه الاشعاع النفسي يجبرهم على ان لاينظروا اليها نظرتهم لكل امرأة وفتاة))[٩٣].تميزت جميلة، فضلاً عن الصفات السالفة الذكر، بهدوئها في مواجهة الاخطار وضبط اعصابها في أشد المحن، وما المحادثة التي سنرويها والمتعلقة بعمها (مصطفى) ألا دليلاً على ذلك فبعد معرفة السلطات الفرنسية بعمل عمها السري الذي كان بمثابة الاب الروحي لها، في جبهة التحرير الوطنية، اضطر للهرب لمنطقة الجبال الثائرة ليكون بعيداً عن أعين الفرنسيين، ولكن في احدى المعارك معهم تم اسره في منطقة (عين بسام) وأخذه جنود المظلات للعاصمة حيث سلطوا عليه الواناً مختلفة من طرق التعذيب، وبعد ان حاول الهرب منهم كان مصيره رصاصة استقرت بجسمه واردته قتيلاً، وعندما اخبرت جميلة عن مصير عمها احست بألم عميق ولكنها تمالكت اعصابها، وأخبرت الجميع بفرحها الغامر باستشهاد عمها في سبيل الجزائر، فشيعت جثمان عمها بدمعة واحدة وقالت (سأنتقم له)[٩٤].بهذه الروحية والتحدي والإرادة القوية عاشت المناضلة جميلة بوحيرد، والتي استطاعت من خلالها قمر اعداءها ومواصلة النضال لإخراجهم من الجزائر، فكانت قصة مشاركتها في الثورة ونضالها الثوري.

*** مشاركتها في الثورة الجزائرية**

عمل عم جميلة (مصطفى) على انضمامها لجبهة التحرير بعد ان زرع فيها روح النضال والمقاومة فتم له ذلك في العام ١٩٥٥ بعد ان بلغت جميلة عقدها العشرون وسرعان ما التحقت بصفوف الفدائيات لامتلاكها صفات خاصة اهلتها لذلك، فالفدائية لابد ان تتميز بتربية مثالية وتتصف بخصال سامية كالصمود والصلابة والاعتداد بالنفس والإيمان الراسخ والالتزام بالسرية وعدم ايهاب الموت والخوف من الاخطار والمتاعب، وذلك لطبيعة الاعمال التي توكل اليها لأنها تكلف بالهجوم على الثكنات العسكرية وقتل الجنود الفرنسيين وفي وضح النهار وإمام مرأى الجميع، فضلاً عن قيامها بحمل الاسلحة والعتاد والوثائق السرية وتسليمها للقادة والمسئولين في جبهة التحرير[٩٥].اجتمعت الصفات السالفة الذكر بشخص (جميلة بوحيرد) التي كانت مثالاً يحتذى به للمناضلة الجزائرية، مما اهلها لان تتولى منصب امينة سر (سكرتيرة) للقائد والمناضل (ياسف السعدي) الذي آثرها على غيرها من الفدائيات لإقدامها وإخلاصها وشجاعتها[٩٦].تلخص عمل جميلة الذي حمل مخاطر ومسؤولية كبيرة، بنقل الرسائل السرية للقادة العسكريين، والتنقل من منزل لساخر لشرح آخر مستجدات الموقف السياسي لأهالي حيها في القصبة، واستمرت بعملها هذا الى ان بدأت السلطات الفرنسية تشك فيها، لذلك ارتأت المنظمة الفدائية التي تنتمي اليها بالاستقرار بمنطقة الجبال، والعمل كممرضة في صفوف جيش التحرير الوطني، فبدأت استعداداً للمهمة الجديدة الموكلة لها بتعلم فن التمريض واستخدام الحقن الطبية، لكنها ولأسباب تتعلق بعمل المنظمة لم تلتحق بالجبل وبقيت تمارس عملها النضالي في العاصمة الجزائرية[٩٧].وكجزء من عملها كفدائية، عملت جميلة بزرع القنابل في اماكن تواجد الفرنسيين فكانت من اوائل المتطوعات بهذا العمل، فهي التي قامت بتنفيذ عملية تدمير ملهى (ميلك بار) الشهيرة في كانون الثاني ١٩٥٧ بواسطة القنابل التي كانت تصنع بعضاً منها في بيتها[٩٨]، فضلاً عن اشتراكها في القاء القنابل في ملهى (الكافيتاريا) و (الكوك هاردي) والتي تسببت بمقتل ثلاث اشخاص وجرح اكثر من (٢٠) اوربياً، وكانت هذه العمليات سلسلة من عمليات اخرى في اماكن متفرقة من اماكن تواجد الفرنسيين والتي قضت على اعداد كبيرة منهم ومما اثار حفيظة فرنسا التي قامت وكعادتها المسبوقة بعمليات قمع وحشية تزعمها الجنرال (ماسو) وفرض حظر للتجوال بقصد قمع الثورة وإتاحة الفرصة لإلقاء القبض على مرتكبي هذه التفجيرات.لدى فرنسا، وكانت جميلة المطلوبة رقم (١) لديها لكونها حلقة الوصل بين قادة الجبل في جبة التحرير ومندوب القيادة في مركز المدينة (ياسيف السعدي) الذي حددت فرنسا عبر منشوراتها مكافئة مقدارها الف فرنك، ثمناً

لرأسه[99]، وبتاريخ ٩/ نيسان/ ١٩٥٧، وبينما كانت جميلة متوجهة للقائد (ياسيف السعدي)، وفي جعبتها وثائق ورسالة مهمة ومبلغ من المال يخص الثوار، اصطدمت بها دورية فرنسية هي واثنان اخران كانوا ملثمين في وسط حي القصبة، وبعد اطلاق النيران هرب الشخصان الاخران، وبقيت جميلة طريحة الارض بعد اصابتها بجروح بالغة[100].بانتهاء عمليات اطلاق النار اسرع جنود المظلات الفرنسية بإلقاء القبض على جميلة التي فقدت وعيها ونقلوها لمستشفى العاصمة لتبدأ هناك رحلة التعذيب التي دخلت من خلالها جميلة التاريخ من اوسع ابوابه.

-عمليات التعذيب التي تعرضت لها جميلة

بعد اصابة جميلة برصاصة في كتفها اخذت لمستشفى العاصمة لإجراء جراحة مستعجلة لها ليس حفاظاً على صحتها بقدر ماكانت فرنسا ترغب ببقائها على قيد الحياة للحصول على معلومات تدلهم لبقية مناضلي جبهة التحرير الوطنية، لذلك سارع الجنرال (ماسو) للمستشفى لاستجواب جميلة التي بدأ بسؤالها وهي طريحة فوق منضدة العمليات، وقال لها وبلهجة ساخرة (أرأيت أين قادك عملك)، فاجابته جميلة بشجاعة بالغة (أنني لم اعرف قيمة عملي في خدمة وطني ألا في هذه اللحظة، عندما رأيتكم ملتفين حولي كما تحيط الكلاب الجائعة بالضحية)[101].وبعد انتهاء العملية، ولسهولة تعذيب جميلة عندما تكون بعيدة عن الاعين نقلت للمستشفى العسكري وبدأت عمليات التعذيب فكانت اولاً عملية الصعق الكهربائي التي استمرت ثلاث ايام متتالية تمت بواسطة الاسلاك الكهربائية التي ربطت على حلمتي الثديين والأنف والإذنين الأمر الذي عرضها للإصابة بنزيف استمر خمسة عشر يوماً لعدم تحمل جسدها الهزيل صعقات الكهرباء، ولكنها تحملت عملية التعذيب هذه، ولم تعترف على زملاؤها، مما اضطر الفرنسيين لنقلها الى سجن (باربدوس) الذي يعد من اشهر مؤسسات التعذيب في العصر الحديث، وفي هذا المكان بدأت سلسلة من عمليات التعذيب التي استمرت جلسات التعذيب ١٨ ساعة متواصلة تمثلت بإدخال الأسلاك المكهربة إلى شفتها وإقدامها ثم إلى فمها، وبالتالي اغمي عليها لعدم تحمل جسدها عملية التعذيب هذه[102].بعد ان افاقت جميلة، علقت على عملية التعذيب التي تعرضت لها قائلة "ان الذين عذبوني هكذا لايحق لهم اذلال المخلوق البشري كما فعلوا جسدياً على شخصي انا، واخلاقياً على انفسهم هم"[103] (ينظر الملحق ٢).بقيت فرنسا تمارس عمليات التعذيب ضد جميلة والتي اختلفت من قلع الاظافر الى شج الرأس وكسر احد ساقيها ولكن دون جدوى، فلم تتفوه بكلمة واحدة تدلهم على قادة الثورة بل على العكس تماماً فقد كانت الابتسامة لاتفارقها وهي تردد الاية الكريمة (من المؤمنين رجالاً صدقوا ماعاهدوا الله عليهم* فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)، وهنا لجأت فرنسا الى اختطاف احد اخوة جميلة، لاستنطاقه حتى يدلي باي معلومات تنفعهم، لكن محاولتهم باءت بالفشل، لذلك عادوا لجميلة لممارسة عمليات التعذيب ضدها حتى تلفظ انفاسها الاخيرة مدعين انها انتحرت، لكن ظروف الثورة والأوضاع الدولية التي كانت تطالب باستقلال الجزائر، وقفت ضد مخططهم هذا، لذلك لجئوا الى وسيلة قانونية تضمن لهم التخلص من جميلة من خلال تقديمها للمحاكمة وإصدار قرار الإعدام ضدها، فكانت محاكمتها الشهيرة.

محاكمة جميلة

بعد انتهاء اعمال التحقيق مع جميلة بوحيرد، القت القوات الفرنسية قد القت القبض على زميلة لجميلة وهي (جميلة بو عزة)[104] وهي واحدة من الجميلات الثلاث جميلة بوحيرد، جميلة بو عزة، وجميلة بوباشا[105]. وبعد اجراء التحقيق قررت المحكمة محاكمة جميلة بوحيرد وجميلة بو عزة في يوم واحد.قبل بدء المحاكمة رفض عدد من المحامين الاشتراك في الدفاع عن جميلة لرفض المحكمة اطلاعهم على ملف القضية من جانب ولرفض جميلة استبعاد التحقيقات التي اخذت خلال جلسات التعذيب من جانب آخر، الى ان وقع اختيار عائلتها على المحامي الفرنسي الشهير (جاك فيرجيس) الذي تحمس للدفاع عن قضية جميلة، والذي اصيب بصدمة عندما شاهد جميلة لأول مرة لأنه شاهد وجهاً قد فارقته ملامح الحياة اثر امتلاءه بزرقة اللطمات وأثار التعذيب القاسية، اما جميلة فلم تشاهد بمحاميها سوى عدواً آخر يرد هلاكها مثل بقية ابناء جنسه لكن هذا الانطباع تغير مع بدء جلسات المحكمة[106].بدأت المحكمة العسكرية الفرنسية جلساتها في حزيران ١٩٥٧ بتوجيه تهمة الارهاب لكل من (جميلة بوحيرد) و (جميلة بو عزة)، اعترفت جميلة بوحيرد بأنها كانت تعمل سكرتيرة لدى المناضل (ياسيف سعدي)، لكنها انكرت التهمة التي ادعت المحكمة بان (جميلة بو عزة) قد وجهتها اليها وهي المشاركة بتفجير ملهى فرنسي يوم ٢٦/ كانون الثاني/ ١٩٥٧ عندما قامت بتسليم (جميلة بو عزة) قنبلة وطلبت منها وضعها داخل الملهى، لكن جميلة بو عزة بدأ تتصرف داخل المحكمة بتصرفات غريبة جراء عمليات التعذيب التي تعرضت لها والمخدرات التي كانت تجبر على اخذها، فبدأت بتمزيق ثيابها والتفوه بكلمات غير لائقة وإخراج مسدس وهمي وتوجيهه نحو قادة المحكمة[107]، مما اضطر رئيسها الى احالتها الى طبيب مختص جاء في تقريره ان جميلة سليمة العقل ولاتعاني من أي شيء وإنها تتظاهر بالجنون، لكن المحامي (جاك فيرجيس) طلب من لجنة المحكمة اعادة فحصها لكن طلبه رفض[108].واستمر اليوم الاول للمحاكمة بسجال طويل بين (جميلة بوحيرد) التي كانت تدافع عن نفسها و (جميلة بو عزة) التي اصيبت بلوثة عقلية دفعتها لاتهام زميلتها بأنها وراء عملية التفجير، وفي اليوم الثالث للمحاكمة قامت المحكمة باستجواب (طالب) وهو احد المناضلين العاملين في جبهة التحرير والذي كان طالباً في الكيمياء بقصد الحصول على تهمة تدين (جميلة بوحيرد)، ولكنه وبشجاعة متناهية رفض كل الاتهامات الموجهة لجميلة واتهم جنود المظلات بتزوير شهادته[109]، فضلاً عن شهادة (طالب) فقد تم تضمين ملف القضية تحقيق ادعت المحكمة فيه ان جميلة اعترفت ووقعت على اعترافها بإلقاء القنابل وعندما حاول محاميها الاطلاع على نص الاعتراف رفض طلبه، ولم يستحب له ألا في يوم القاء الحكم فشاهد توقيعاً مزوراً فطالب بجلب خبير للخطوط ولكن طلبه هذا رفض ايضاً، وبدء حملة الدفاع عن موكلته وقال ان كان التوقيع صحيحاً، فان الافادات انتزعت من موكلته بواسطة التعذيب الوحشي وتسليط تيارات كهربائية على مناطق مختلفة من جسمها، لكن المحكمة قالت انها ادعاءات باطلة ولا اساس لها من الصحة[110].

بعد دفاع محامي جميلة، انتهت المحكمة الى توجيه التهم التالية لجميلة:

١-احراز مفرقعات.

٢-الشروع والاشتراك في حوادث قتل.

٣- شروع في قتل وتدمير مبان بالمفرقعات.

٤- الاشتراك في اعمال مماثلة.

٥- الانضمام لجماعة من القتلة.

وخمسة من هذه التهم تكون عقوبتها الاعدام.

الحقيقة لم تكن هناك محكمة، بل مسرحية هزلية داس فيها رئيسها على جميع القوانين وبشكل علني، فمحامي الدفاع يمنع من الكلام، والأطباء الذين قاموا بفحص (جميلة بو عزة) لم يكونوا مبالين بالقانون الذي لم يحترموه قط.انتهت فصول مسرحية المحاكمة الهزلية بصدور حكم الاعدام ضد (جميلة بوحيرد) و (جميلة بو عزة) في يوم ١٦/تموز/١٩٥٧، وتمت مصادقة رئيس الجمهورية الفرنسية على قرار الاعدام، وحدد يوم الجمعة ٧/آذار/ ١٩٥٨موعداً لتنفيذ حكم الاعدام. وبعد سماع جميلة قرار اعدامها انطلقت بضحكة عالية اثارت قاضي المحكمة الذي صرخ فيها قائلاً (لاتضحكي في موقف الجد)، ولكنها اجابته بكل قوة وثبات ((ايها السادة، انني اعلم انكم ستحكمون علي بالإعدام، لان أولئك الذين تخدمونهم يتشوقون لرؤية الدماء، ومع ذلك فأنا بريئة، ولقد استندتم في محاولتكم ادانتي الى مريضة رفضتم عرضها على طبيب الامراض العقلية بسبب مفهوم، والى محضر تحقيق وضعه رجال المظلات وأخفيتم أصله الحقيقي الى اليوم، والحقيقة اني احب بلدي وأريد له الحرية... ولا تنسوا إنكم لاتستطيعون أبدا من منع الجزائر من الحصول على استقلالها))[١١١].تصف جميلة شعورها بعد صدور الحكم بأنه كان من اجمل ايام حياتها لأنها ستموت من اجل بلادها الجزائر، التي انشد لها زملاؤها في السجن نشيداً يمجدها هاتفين (جزائرنا) فتركت هذه الهتافات اثرها الملموس على جميلة، فذكرت انها كانت لحظات مؤثرة تعجز الكلمات عن وصفها، ومع وحشية تلك اللحظات والأيام التي قضتها في السجن، ومن اللحظات الصعبة التي مرت بها، فإنها كانت تقول لامها عندما كانت تزورها في السجن (لعلك لاتجديني هنا في المرة القادمة) فتضمها امها والدموع تغمرها فتجيبها بشجاعة مثلى: ((ما أسعدك ياجميلة ان تموتي شهيدة وما أسعدني انا الاخرى ان يشار الي بالبنان))[١١٢].لحظات صعبة لكن مواقف الام والبنت كانت من الشجاعة التي قلما نجدها، وهذا الامر نابع من ايمانهن بقضية الجزائر وضرورة مقاومة المستعمر حتى نيل الاستقلال.بقيت جميلة تعاني طوال ثماني اشهر، وهي بانتظار تنفيذ حكم الاعدام ضدها مرتدية البدلة الحمراء استعداداً لتنفيذ الحكم الذي لم ينفذ امام صرخات الاحتجاج العربية والعالمية، فقبل الموعد الذي حدد لتنفيذ الحكم بيومين اجتمعت لجنة حقوق الانسان بالأمم المتحدة وناقشت موضوع حكم الاعدام الصادر بحق جميلة اثر تلقيها ملايين البرقيات المستنكرة لحكم الاعدام، مما اضطر فرنسا التراجع عن قرار حكم الاعدام، فأصدرت قراراً في ١٩٥٨/٤/١١ يقضي بتخفيف حكم الاعدام الى عقوبة السجن المؤبد. وبعد يوم من صدور هذا الحكم ارادت فرنسا ان تعرف وقع الخبر على المتهمة جميلة التي قالت لمراسل الصحيفة الفرنسية (فرانس بريس) الذي زارها في سجنها، انها كانت تفضل الموت على حياة المعتقل وأنها كانت تتمنى لو نفذ فيها حكم الاعدام الذي سيريحها من العذاب المضني الذي تعانيه داخل السجن[١١٣].بقيت جميلة في سجن الجزائر ثلاث سنوات، نقلت بعدها الى فرنسا لتقضي سنتين اثنتين اخرى في سجنها الى ان اطلق سراحها مع عدد آخر من السجناء ومن ضمنهم زميلتها (جميلة بو باشا) أثر توقيع معاهدة ايفيان عام ١٩٦٢ التي منحت الاستقلال للجزائر، وهناك خلاف حول تاريخ خروجها من السجن فهناك مصادر تؤكد انها خرجت ١٢/.١٩٦٢/٤، في حين اكد شهود عيان انها قبل هذا التاريخ، وتحديداً نهاية عام ١٩٦١ خرجت من السجن وزارت العراق، وهذا ماسنسلط عليه الضوء في الصفحات اللاحقة.

تأثير جميلة على الصعيد الوطني

بعد صدور حكم الاعدام ضد جميلة بوحيرد، انطلقت الصحف الجزائرية بإطلاق مقالات متعددة تدين الحكم وإرسال رسائل تهديد للمسئولين الفرنسيين يؤكد كاتبها ان دم جميلة لن يذهب هدراً، وإنهم سيثأرون لها ولكافة ابناء الجزائر.اما زعماء الثورة والذين اعلنوا، ومنذ ايام الثورة الاولى، ان الارهاب يعتبر وسيلة مقاومة مشروعة لمقاومة الاعداء، فقد قاموا بتبليغ فرنسا عن طريق منظمة الصليب الاحمر الدولية بأنها ستقوم بمبادلة الضباط الفرنسيين الاربعة الواقعين في اسرها مع جميلة، وفي حالة رفض هذه المساومة، وإصرار الحكومة الفرنسية على تنفيذ حكم الاعدام ضد جميلة فأنهم سينفذون الشريعة الاسلامية (العين بالعين)[١١٤].

اما ادباء الجزائر وشعراؤها فانبروا يرفعون اصواتهم دفاعاً عن قضية جميلة التي اصبحت مثالاً يستلهم الشعراء حماسهم، فقام الشاعر (صالح خرفي) بتنظيم قصيدة مؤثرة، بعد صدور حكم الاعدام على جميلة عام ١٩٥٨، جاء في ابيتها:

لن تموتي ياجميلة	قالها الناس ولكن لم اقلها ياجميلة
انا اهوى ان تموتي ياجميلة	املي ان تستريحي ياجميلة
فالردى في وهج القسوة انسام عليلة	ان في موتك للشعب انتصارات جليلة
ان في شنقك ويلات على ايد دخيلة	قربت للشعب مرماه وللباني افوله
وجد الحيران في آهاتك الحيرى دليلة	حبة انت فديت الشعب، فافديه قتيلة
صرخة منك على مشنقة الظلم النذيلة	سوف تنهي صرخات الطفل تنسيه عويله
صرخات الام تبكي نحلها اردوه غيلة	سكتة منك على مقصلة الغدر الذليلة
سوف تعلى صرخات الشعب في عيد البطولة	احقني دمع يتامى شرودهم ياجميلة
ودماً حراً بريئاً، موج الغدر سيوله	صوحي ياز هرة الفرد ذوبي كالفتيلة
ان في تصويحك المأمول ابراق الخميلة	ان في ضوئك اشعاعاً يرى الشعب سبيله
أي موت لم يذيقوك اساه أي حيلة	ما هو الموت وقد جرعته دنيا طويلة
او راحة من اعباء اغلال ثقيلة؟	أهو الغفوة في نومه عز مستطيلة؟
أهو اليقظة في خلد كأحلام الطفولة؟	أهو الفرحة تسري في شرايين الفضيلة
أهو العزة تهوى بالتماثيل الدخيلة؟	ان يكن موتك هذا فاطلبيه ياجميلة
أنا ادري الناس كم تهوين موتاً ياجميلة	كم طلبت الموت كم منيته عذراً نحيلة
	غير ان الموت احياناً له كف بخيلة[١١٥]

وانشد شاعر آخر قصيدة جاء في احد ابياتها وصفاً لجمال جميلة:

قالوا لها بنت الضياء تأملي مافيك من فتن ومن انداء

سمراء زان بها الجمال لوائه واهتز روض الشعر للسمراء

اما شاعر الثورة الجزائرية (مفدي زكريا) فقد نظم قصيدة طويلة اسماها (فلاعز.. حتى تستقل الجزائر)، أقسم بمقدمة القصيدة بالجميلات الثلاث[١١٦]، فأنشد قائلاً:

وحق (الجميلات الثلاث) وبالتي اجابت، فراحت للفدا، تهجر الخدرا
سنثأر! حتى يعلم الكون اننا اردنا –فأرغمنا-بإصرارنا الدهر[١١٧].

ويؤكد (د. عبد الله حمادي)، الذي تابع قضية جميلة من خلال دراسة الاعمال الادبية المتعلقة بها، انه لايوجد في تاريخ الجزائر رمزاً احتفى به الشعر مثل جميلة بوحيرد، وربما يأتي بعد هذا الرمز في الترتيب جبال الاوراس، ورموز اخرى مثل منطقة وهران وغيرها[١١٨].استمر الادباء يحتفون بجميلة، رغم اعتقاد الكثير منهم، انها استشهدت لقلة المعلومات التي تتوفر عنها بعد الاستقلال من جانب، ولأنها أثرت العزلة عن السياسة والأضواء من جانب آخر، ففي الذكرى الثالثة والخمسون لإعلان الثورة الجزائرية، اقيم ملتقى ادبي عام ٢٠٠٧ حول الثورة الجزائرية في الادب العربي، ومن ضمن فعاليات هذا الملتقى اقيم استعراض موسيقي-شعري، حمل عنوان (جميلة)، تضمن قصائد لشعراء عرب منهم السوريان (سليمان العيسى، و نزار قباني) والسوداني (محمد الفيتوري) والعراقي (بدر شاكر السياب) والجزائريان الراحلان (صالح باويه) و (جمال عمراني) والشاب (عبد القادر) فكرة الاستعراض الروائية كانت للروائي (امين الزاوي) والإخراج كان للشاعر (عبد الناصر خلاف)، رافق العمل الاستعراضي موسيقى من اعداد العراقي (احمد مختار). كان الاستعراض بمثابة ادانة لعمليات التعذيب التي مارسها الاستعمار الفرنسي على شعب الجزائر ومنهم جميلة، من خلال تصوير لحظات تراجيدية عاشتها بطلة الاستعراض داخل السجون الفرنسية التي انطلقت من داخلها مناضلة كبيرة اسمها (جميلة بوحيرد)[١١٩].

تأثير جميلة على الصعيد العربي

اصبح اسم (جميلة بوحيرد) يعني النضال والمقاومة الجزائرية ضد الفرنسيين، فقضيتها تصور لنا وحشة القمع الاستعماري الفرنسي والسياسة اللا انسانية التي طبقوها على مناضلي الشعب الجزائري، لذلك كانت لقضيتها ابعاداً عربية ودولية، فبعد سريان تفاصيل المحاكمة (الهزلية) التي تعرضت لها جميلة وصدور قرار المحكمة القاضي بإعدامها، هب الرأي العام العربي مدافعاً عن قضيتها، فبدأت اولاً البرقيات تنهال على الرئيس الفرنسي (رينيه كوني) ورئيس الوزراء (غايار) يطالب فيها العرب ابدال حكم الاعدام الذي صدر بحق فتاة لاذنب لها سوى حبها لوطنها ودفاعاً عن استقلاله. لم تقتصر البرقيات على عامة الشعب او الصحفيين، بل كان لقادة العرب دورهم بالمطالبة بالعفو عن جميلة وأبرزهم الزعيم المصري (جمال عبد الناصر) والرئيس التونسي (الحبيب بو رقيبة) واللبناني (سامي الصلح)[١٢٠].فضلاً عن برقيات الاحتجاج فقد عمت المظاهرات الصاخبة ارجاء واسعة من الوطن العربي، واتصلت بعض الحكومات العربية بسفارات فرنسا ناقلة لها شهور العرب الساخط ازاء قضية جميلة، وقامت المجالس النيابية في الدول العربية برفع قضية جميلة الى هيئة الامم المتحدة اما الصحافة العربية فقد غصت بالقصائد التي تناولت موضوع المناضلة جميلة بوحيرد، حيث سال بشأنها حبر كثيراً وقيل فيها اكثر من ثماني قصائد من مختلف ربوع الوطن العربي'، لكن اجمل ماكتب وأروع ماقيل فيها كانت قصيدة للشاعر السوري الكبير (نزار قباني) والتي حملت اسم جميلة ونشرها في ديوانه الموسوم حبيبتي الصادر عام ١٩٦١ وجاء في ابياتها:

الاسم جميلة بوحيرد
رقم الزنزانة تسعوناً
في السجن العربي بوهران
والعمر اثنان وعشرونا
عينان كقنديلي معبد
والشعر العربي الاسود
كالصيف..
كشلال الاحزان
إبريق للماء.. وسجان
ويد تنضم على القرآن
وامرأة في ضوء الصبح
تسترجع في مثل البوح
آيات محزنة الارنان
من سورة (مريم) و (الفتح)
الاسم: جميلة بوحيرد
اسم مكتوب باللهب
مغموس في جرح السحب
في ادب بلادي في ادبي
العمر اثنان وعشرونا
في الصدر استوطن زوج حمام
والثغر الراقد غصن سلام
امرأة من قسنطينة
لم تعرف شفتاها الزينة
لم تدخل حجرتها الاحلام
لم تلعب ابداً كالأطفال
لم تغرم في عقد او شال
لم تعرف كنساء فرنسا
أقبية اللذة في (بيغال)
الاسم: جميلة بوحيرد

اجمل اغنية في المغرب
اطول نخلة
لمحتها واحات المغرب
اجمل طفلة
اتعبت الشمس ولم تتعب
ياربي.. هل تحت الكواكب
يوجد انسان؟
يرضى ان يأكل.. أن يشرب
من لم مجاهدة تصلب
اضواء الباستيل ضئيلة
وسعال امرأة مسلولة..
أكلت من نهديها الاغلال
أكل الانذال
من جيش فرنسا المغلوبة
انتصروا الان على انثى
انثى... كالشمعة مصلوبة
القيد يعض على القدمين
وسجائر تطفأ في النهدين
ودم على الانف.. وفي الشفتين
وجراح جميلة بوحيرد
هي والتحرير على موعد
مقصلة تنصب.. والأشرار
يلهون بأنثى دون ازار
وجميلة بين بنادقهم
عصفور في وسط الامطار
الجسد الخمري الاسمر
تنفضه لمسات التيار
وحروق في الثدي الايسر
في الحلمة
في .. في .. يا للعار
الاسم: جميلة بوحيرد
تاريخ: ترويه بلادي
يحفظه بعدي اولادي
تاريخ امرأة من وطني
جلدت مقصلة الجلاد
امرأة دوخت الشمسا
ثائرة من جبال الاطلس
يذكرها الليلك والنرجس
يذكرها .. زهر الكبار
ما اصغر (جان دارك) فرنسا
في جانب (جان دارك) بلادي..[١٢١].

كما لم تغمطها السينما العربية حقها وهي في اوج عطاءها، فقام المخرج المصري (يوسف شاهين) بانجاز فيلماً سينمائياً عن جميلة بوحيرد حمل اسمها في العام (١٩٥٨) لعبت الفنانة (ماجدة الصباحي) دور جميلة في الفيلم، الى جانب كوكبة من الفنانين مثل محمود المليجي وزهرة العلا وصلاح ذو الفقار، وللأداء المتميز للفنانة ماجدة فقد تم تكريمها بمنحها درع المجاهدين الجزائريين، بمناسبة الذكرى (٤٦) لاستقلال الجزائر[١٢٢].وأصبح اسم (جميلة) اسماً وطنياً قومياً يحتذى به، ففي العاصمة السورية دمشق اطلق اسمها على احدى المؤسسات التعليمية التي كانت تحمل سابقاً اسم الفرنسية (جان دارك)[١٢٣]. اما بغداد فقد قامت بدعوة المناضلة الجزائرية (جميلة بوحيرد) وفاطمة الجزائرية[١٢٤] لزيارة العراق بعد خروجها من السجن، ولبت الدعوة فكانت زيارتها بتاريخ ١٨/ تشرين الاول/ ١٩٦١، وهذا يؤكد انها خرجت من السجن قبل الاستقلال عام ١٩٦٢، وما يؤكد ذلك ان السيد (عزيز النعيمي) قال انه رافق جميلة وزميلتها اثناء زيارتها للعراق فقد رافقها لزيارة مرقد الامام ابي حنيفة النعمان في الاعظمية، وحال وصولها للمرقد حصلت مظاهرة في الشوارع ترحيباً بها وتأييدا للثورة الجزائرية، التي كانت ماتزال مستمرة[١٢٥]، فضلاً عن ذلك فقد اقيمت لها احتفالات شعبية وحكومية، تبرع خلالها العراقيون وبسخاء، لصالح الثورة الجزائرية، وعقب ذلك اطلق اسم جميلة على منطقة كانت قيد الانشاء تقع شرق قناة الجيش (تعرف اليوم باسم علوة جميلة) تقديراً من العراقيين واحتفاء بهذه المناضلة وتكريماً لزيارتها للعراق[١٢٦].هذا جزء من تأثيرها على الصعيد العربي، وان كان التقدير قد استمر الى وقتنا الحالي، فلا تكاد تمر مناسبة وطنية او عربية تسلط الضوء على نضال المرأة العربية ألا ويذكر اسمها مرادفاً للفظ مناضلة او مجاهدة، وهذا اكبر تأثير يمكن ان تتركه امرأة في تاريخ النضال العربي في التاريخ الحديث والمعاصر.

تأثير جميلة على الصعيد الدولي

كان لقضية محاكمة جميلة والتعذيب الذي تعرضت له اثارا على العواصم الاوربية وحكوماتها، فبعد اعلان حكم الاعدام ضدها انطلقت الاحتجاجات الساخطة في بريطانيا وألمانيا وروسيا وأمريكا ويوغسلافيا وسويسرا واندونيسيا وجكارتا وطوكيو، وفي العاصمة البريطانية قامت مظاهرات اسبوعية امام السفارة الفرنسية، وقامت منظمة (المصلحة الوطنية الاممية) في بيروت بتوجيه نداء احتجاج للسفارة الفرنسية استجاب له اكثر من (٢٥) الف شخص من مختلف ارجاء العالم، اما المانيا فقد ارسلت (١٢) الف برقية و (١٥) الف رسالة احتجاج للحكومة الفرنسية[١٢٧].لم تقتصر برقيات الاحتجاج على الحكومات فقط، بل كان للشخصيات السياسية والأدبية البارزة دورها في هذه القضية، ولعل من ابرز من رفع برقيات الاحتجاج ضد الحكومة الفرنسية احتجاجاً على قرارها الجائر بإعدام جميلة هم: السيد (همرشولد) الامين العام لهيئة الامم المتحدة، السيد (فورو شيلوف) رئيس الاتحاد السوفيتي السيد (برتر ندرو سل) الفيلسوف الانكليزي الحائز على جائزة نوبل، الكاتب الشهير (ارنوكوستير) ، الزعيم الوطني الهندي (نهرو)، السيد (سانيونيش) رئيس المجلس اليوغسلافي، فضلاً عن (٧٦) نائباً من حزب العمال البريطاني[١٢٨].

اما التأثير الاكبر في قضية جميلة، فقد القى بظلاله على العاصمة الفرنسية، باريس، فقد تولت جماعة المقاومة الشيوعية التي تصدر سلسلة منشورات (نصف الليل) بإصدار كتاب حمل عنوان (دفاعاً عن جميلة) الذي الفه محامي الدفاع عنها (جاك فيرجيس) والكاتب (جورج ارنو)، وتضمن الكتاب شرحاً تفصيلياً عن محاكمة جميلة وأساليب التعذيب التي تعرضت لها.انقسم الرأي العام الفرنسي حول قضية جميلة وطلب العفو عنها، فهناك من ايد حكم الاعدام وآخرون رفضوا حكم الاعدام ومثل هذا الرأي الراديكاليون الفرنسيون.ولعل التأثير الاكثر وضوحاً في الجانب الدولي، هو قيام المحامي الفرنسي (جاك فيرجيس) بالدفاع عن قضية جميلة، وكان من اوائل المعترضين على حكم الاعدام الذي صدر بحقها، وعند سؤاله عن الدوافع التي وقفت وراء توليه الدفاع عن قضية جميلة اجاب ان دوافعه انطلقت من كون القضية التي يدافع عنها قضية مشروعة فهي تخص الشعب الجزائري باجمعه، هذا من جانب، ومن جانب آخر فالقضية من ناحية مهنية تعتبر قضية رابحة فأي محامي يرتبط اسمه بقضية من هذا النوع ستنعكس على تراثه الشخصي، فكان (جاك) ذكياً بقبوله الدفاع عن جميلة، فقبل ذلك لم يكن سوى محامي بسيط معروف في اوساط القضاء الفرنسي ولكن ليس بالقدر الذي عرف بعد دفاعه عن جميلة بوحيرد[١٢٩].ان التأثير الذي تركته قضية جميلة على العالم اجمع تأثيراً قوياً، وهذا يدل على مقدار الظلم والأذى الذي تعرضت له من قبل الفرنسيين الذين وجدوا انفسهم، امام هذا التوحد العالمي حول ضرورة الافراج عن جميلة، مضطرين لابدال حكم الاعدام بالسجن وبالتالي وجدت نفسها امام مئات امثال جميلة ممن ضحوا بدمائهم من اجل الجزائر مضطرة لتوقيع اتفاقية تنسحب فيها من الجزائر والى الابد. لتترك الجزائر حرة لأحرارها الذين مابرحوا يدافعون عن ارضهم ومقدساتهم.

حياة جميلة بعد الاستقلال

بعد اشهر من اطلاق سراح جميلة، قامت بزيارة للسعودية لأداء فريضة العمرة ثم زارت العراق وعدد من الدول العربية، ومع اعلان الاستقلال، تزوجت من محاميها الفرنسي (جاك فيرجيس) بعد ان اشهر اسلامه وأصبح اسمه منصور، وأنجبت طفلين، وعندما سأل (جاك) عن رأيه بجميلة التي اصبحت زوجة له، اجاب ان اول اهتمامه بها كان بدافع التعاطف مع مناضلة تدافع عن استقلال بلادها، ولكن مع كثرة اللقاءات اثناء المحاكمة تحول اعجابه السياسي الى رابطة عاطفية توجت بالزواج، فضلاً عن ذلك فجميلة كانت تعني له وبكل استحقاق، علماً من اعلام الحرية والنضال المشروع ضد المحتلين[١٣٠].وبعد تشكيل الحكومة الجزائرية اثر توقيع معاهدة ايفيان، تولت جميلة رئاسة اتحاد المرأة الجزائري، وناضلت كثيراً من اجل المرأة الجزائرية من خلال هذا الاتحاد، ولكن لخلاف غير معروف مع الرئيس احمد بن بله قررت الاستقالة عام ١٩٦٣، وإخلاء الساحة السياسية لأنها حسب ماورد في بعض المصادر، لم تعد قادرة على احتمال المزيد من الخلافات[١٣١].ان التعذيب الذي تعرضت له جميلة ومكنونها سنوات في السجن، جعلها امرأة لاتبحث عن المناصب قدر بحثها عن حرية بلادها،وهذا ماتحقق بعد الاستقلال اما هي فقد ادت رسالتها وانتهت . وحياتها بعد الاستقلال تؤكد ذلك.منذ عام ١٩٦٣ قررت جميلة نكران ذاتها، فقد تنازلت عن حقها في كرسي النيابة، فضلاً عن تنازلها في الاستحواذ على اية امتيازات او املاك، فقد ذكر محافظ الجزائر المجاهد (عبد الرزاق) انه تشرف بمقابلة (جميلة)، وطلب ان يكرمها لدورها في تحرير الجزائر باعطاءها مسكناً في العاصمة وهذا اقل مايمكن ان يمنح لمثيلاتها، ولظروف خاصة بجميلة فقد أبطات باستلام المسكن، مما ادى لاعطاءه لشخص آخر، وهو من المجاهدين ايضاً، ممن كان يطمح لأخذ المسكن له لحاجته له، وعند وصول الخبر لجميلة تنازلت عن المنزل بطيب خاطر وآثرته على نفسها[١٣٢] لتسكن بعد ذلك في احدى عمارات حي حيدرة، وتحديداً في الطابق الثامن في عمارة تفتقر لوجود المصعد الكهربائي، وتعيش حياة بسيطة جداً تكرسها لتربية ابناءها فحسب المعلومات الشحيحة انها انجبت ولداً وبنتاً اسمتها (حورية) وهي الان مهندسة معمارية تشرف على اعادة ترميم الحي الذي كانت تقطن فيه والدتها (حي القصبة) الشهير، من خلال امتلاكها لمؤسسة للفن المعماري.ابتعدت جميلة عن الصحافة، فهي لاتكلمها وتحرص كل الحرص على عدم ظهور صورها في وسائل الاعلام، ومرد ذلك يعود لما تعرضت له من هجوم من قبل الصحافة عقب ارتباطها بالمحامي الفرنسي (جاك فيرجيس) فقد نشرت صحيفة الاحرار الجزائرية رسماً كاريكتارياً لجملة وبطنها منتفخة جراء الحمل لطفل يرتدي برنيطة التي ترمز للزي الفرنسي او اللباس الذي اعتاد الفرنسيون لبسه، مما اثار حفيظتها وجعلها تبتعد عن الصحافة كل البعد'، وتأكد ذلك بمناسبات عديدة فالروائية الجزائرية (احلام مستغانمي) ذكرت انها التقت بها بمحض الصدفة عندما كانتا في طائرة واحدة، وكانت جميلة تجلس في الكراسي الخلفية بالدرجة الثانية ولا احد يعرفها، بينما (احلام) كانت تجلس بالدرجة الاولى، وعندما عرفتها احلام وتكلمت معها، التفت اليها الكاميرات لكنها عملت على تغطية وجهها بمجلة كانت تحملها، ورجت ان لايصورها احد[١٣٣].بقيت جميلة في عزلتها عن الحياة السياسية والاجتماعية تعيش كسيدة عادية هادئة وباسمة على الدوام، ولكنها تبدو اصغر من عمرها بكثير، ولكنها مع بداية القرن الواحد والعشرين قررت الخروج من عزلتها، وبصمت لتبدأ المشاركة في بعض الانشطة الاجتماعية، ففي عام ٢٠٠٣ شاركت في صالون الجزائر الدولي للكتاب اثر دعوة الروائية (احلام مستغانمي) لها، والتي اقامت لها مؤتمراً صحفياً على هامش المؤتمر الذي تجمع فيه حشد كبير من الادباء والصحفيين الذين التقوا بجميلة التي بدت بسيطة جداً في كلامها وملبسها، ورجت الصحفيين ان لايكلموها في ماضيها الثوري او السياسي، وعندما سألها الصحفيون عن انطباعها حول الفلم السينمائي الذي صور قضية تعذيبها ومحاكمتها، اجابت بتلقائية بسيطة ان الفلم لايمثلها في شيء، بل يمثل ثورة الجزائر[١٣٤].وهذا الكتمان والابتعاد عن حياتها السياسية لم يكن محدداً مع الصحافة بل مع المقربين منها ايضاً،

فزوجها المحامي (جاك فيرجيس) اكد انها لم تتحدث معه عن تفاصيل عملها السياسي، وانه قدر هذا الكتمان والتحفظ لأنها، أي جميلة، كانت تنتمي الى تنظيمات سرية ومن واجب المنتمي اليها عدم كشف سرها. وحتى بعد ارتباطه بها احترم كتمانها وتحفظها على المعلومات التي تخص علمها النضالي والسياسي[١٣٥].

ومع احتفالات الذكرى (٥٣) للثورة الجزائرية، أقيم استعراض موسيقي-شعري حمل اسم (جميلة) وكانت من الحاضرات في هذا الاستعراض الذي سلط الضوء على حياتها وقضية تعذيبها.وبتاريخ ١١/١٨/ ٢٠٠٧، وكتكريم او احتفاء بدورها في الثورة الجزائرية فقد قامت بقص الشريط التقليدي لفعاليات الاسبوع الثقافي الليبي الذي عقد بالجزائر للفترة من ١٨-٢٠٠٧/١١/٢٢ والذي تضمن فعاليات وأمسيات شعرية عديدة على هامش الاسبوع الثقافي[١٣٦].وعقب ذلك وتحديداً في ١١/٢/ ٢٠٠٨ شاركت في الندوة التاريخية التي حملت اسم مجاهدات في الزنزانات التي اقامها المقهى الادبي التابع للصالون الدولي للكتاب. ووجدت من هذا المناسبة فرصة لتؤكد من خلالها للعالم وللصحافة انها لم تفارق الجزائر ابداً مثلما روجت لذلك بعض الصحف بل على العكس انها تعيش داخل الجزائر الى آخر يوم[١٣٧]. وهذا ينفي المعلومات الخاطئة التي اكدتها بعض المصادر بأنها تعيش في فرنسا وكانت جريدة العرب الدولية (الشرق الاوسط) قد اجرت معها لقاءاً مطولاً في مكان اقامتها في العاصمة الجزائرية، وبحضور حفيدتها (فاطمة) البالغة من العمر ست سنوات، وسألت جميلة في البداية، لماذا ابتعدت عن المناصب الحكومية والسياسية؟ وهل ابتعادها عن العمل السياسي يعني انها اصبحت انسانة منسية؟ اجابت وبتواضع متناهي: ان دورها بدأ وانتهى في النضال من اجل الحرية فما فعلته هو الواجب الذي يمليه عليها ضميرها وموقفها من الثورة، وعندما تحقق الاستقلال، انصرفت الى همومها البيتية المتمثلة بالاهتمام بعائلتها ودراسة اللغة العربية وتراث الجزائر، وأضافت أن ماقامت به وزملائها من اعمال نضالية لايمكن ان تنساها الاجيال الجديدة، اما عن رأيها في الافلام التي صورت عنها والكتب التي ألفت عنها والقصائد التي كتبت فيها، فقالت انها ادت غرضها في ايقاد شعلة الثورة، وان كل ذلك لم يكن يعنيها، بل كان للثورة، فهي كانت الغاية، ولم تكن جميلة سوى الوسيلة[١٣٨]، وأكدت خلال هذا اللقاء ايضاً، انها لم تقيم في باريس التي تعرفت على مدنها الجميلة من نوافذ السجون التي قضت فيها خمس سنوات، وعندما سألت اين تمضي اكثر وقتها؟ اجابت بعتب واضح وهل هناك اجمل من الجزائر؟ان هذا العتب توجهه (جميلة) الى أي شخص يتهمها بأنها تركت الجزائر، واستقرت في فرنسا التي حاربتها من اجل نيل الاستقلال فالكثير من الصحفيون يعيبون عليها ارتباطها بشخص فرنسي والاستقرار بفرنسا، لكنها تؤكد ان زوجها المحامي (جاك فيرجيس) قد اعتق الاسلام بعد زواجه منها واستقر معها في الجزائر، اما فرنسا فهي تذهب اليها بين حين وآخر للعلاج خصوصاً وإنها تعرضت لأمراض مزمنة جراء التعذيب الذي تعرضت له اثناء محاكمتها من قبل جنود المظلات الفرنسيين عام ١٩٥٧ والتي بدأت اثار الامراض تظهر تدريجياً عليها مما اضطرها للذهاب لفرنسا لأكثر من مرة نهاية العام (٢٠٠٨) لغرض العلاج اثر اشتداد المرض عليها.

الاستنتاجات

شكل نضال الشعب الجزائري على مدى قرن من الزمن انموذجاً بطولياً خالداً للعالم اجمع وشكل الاستعمار الفرنسي من جانبه بأساليبه الاستعمارية أنموذجا للوحشية والهمجية اللاانسانية التي تجاوزت بفضاعتها وعدم احترامها للجنس البشري، بربرة البرابرة، وشكلت المرأة الجزائرية بقدرتها على التحمل والذود عن النفس مثالاً رائعاً للمرأة العربية والعالمية على حد سواء.

لقد خرج البحث بجملة من الاستنتاجات، اهمها:

١- ان حادثة المروحة الشهيرة وقعت عام ١٨٢٧ وليس عام ١٨٣٠ كما هو معروف لدى الغالبية العظمى، او كما تذكره الكثير من المصادر، وان هذه الحادثة كانت السبب بقدوم القوات الفرنسية الى السواحل الجزائرية وفرضها حصاراً عليها ولم تتم عملية الاحتلال للأراضي الجزائرية ألا في العام ١٨٣٠.

٢- اندفعت فرنسا بدوافع سياسية واقتصادية ودينية لاحتلاها الجزائر، وان كان الدافع الاقتصاد هو الاهم، لكونها كانت مديونة بمبالغ مالية كثيرة لعدد من الدول وبمقدمتها الجزائر وهذا ما اكده السياسي الالماني مترنيخ عندما قال ((لايصرف مئة مليون فرنك ويعرض اربعين الف رجل للموت من اجل مروحة)).

٣- مارست فرنسا خلال استعمارها للجزائر اساليباً استعمارية عديدة، منها ماهو موجه ضد الدين الاسلامي للقضاء على الاسلام وإعلان الجزائر منطقة مسيحية، ومنها ماهو موجه ضد الشباب بفرضها الخدمة العسكرية الاجبارية وبشروط قاسية، فضلاً عن فرض سياسة الفرنسة ومانجم عنها من تردي في الاوضاع الاجتماعية العامة.

٤- طبقت فرنسا على الجزائريين اساليباً تعذيبية، وبشكل خاص ضد الثوار، وتنوعت هذه الاساليب وازدادت وحشية مع اعلان الثورة الجزائرية عام ١٩٥٤، والتي راح ضحيتها عدد كبير من الشهداء الذين وصل عددهم مع اعلان الاستقلال مليون شهيد، لذلك عرفت الجزائر باسم ارض المليون شهيد.

٥- كان للمرأة الجزائرية شرف المساهمة في مقاومة المستعمر الفرنسي بل واكثر من ذلك، فبعضهن قدن ثورات مسلحة ضد المستعمر، وبرز نشاط المرأة بشكل خاص بعد اعلان الثورة الجزائرية عام ١٩٥٤ فظهرت فدائيات ومناضلات كثيرات.

٦- كانت المناضلة جميلة بوحيرد واحدة من آلاف النساء المناضلات وفي ذات الوقت كانت انموذجاً للممارسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، لكونها تعرضت مثلما تعرض غيرها من المناضلين الى شتى انواع التعذيب ولكنها بقيت صامدة ولم تعرف على زملائها في جبهة التحرير.

٧- هناك خطأ تأريخي يؤكد ان المناضلة جميلة بقيت في السجون الفرنسية الى اعلان الاستقلال عام ١٩٦٢ لكن الحقائق التاريخية وشهود العيان يؤكدان انها خرجت من السجن مع بدء المفاوضات مع الفرنسيين، أي في عام ١٩٦١، وهو ذات العام الذي زارت فيه دول عربية منها العراق.

٨- بقيت الجزائر مكاناً لإقامة المناضلة وليست فرنسا، حسب ماكانت تروج له بعض وسائل الاعلام لأنها تقول انه لا يوجد مكان أجمل من الجزائر لأسكن فيه.

٩- بقيت ذكرى المناضلة جميلة بوحيرد، خالدة على مر العصور، ليس في الجزائر فحسب بل في المناطق العربية والعالمية كذلك لأنها بقيت بعيدة عن النشاطات السياسية والاجتماعية فلم تحبذ اللقاءات الصحفية والأضواء لأنها اعتبرت أن ما قامت به ايام الثورة لم يكن سوى الواجب وما يمليه عليها ضميرها.

المصادر والهوامش

(١) هند فتال ورفيق سكري، تاريخ المجتمع العربي الحديث والمعاصر، بيروت، ١٩٨٨، ص٢٦٢.

(٢) مسعود مجاهد، الجزائر عبر الاجيال، ط٢، القدس، د.ت، ص٥٦.

(٣) عبد الحميد مسعود الجزائري، حقيقة الجزائر، القاهرة، د.ت، ص٢٠.

(٤) مسعود مجاهد، المصدر السابق، ص٥٤.

(٥) لعب العامل الديني دوراً هاماً في هذا الجانب، فالجزائريين غالبيتهم من المسلمين المتمسكين بتعاليم الدين الاسلامي في التعامل مع الاسرى، وفقاً للشريعة الاسلامية السمحة.

(٦) يقصد بالبربر سكان الجزائر، حيث كانوا يطلقون هذه التسمية على سكان المغرب.

(٧) مسعود مجاهد، المصدر نفسه، ص٥٥

(٨) احمد اسماعيل راشد، تاريخ اقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ٢٠٠٤، ص١٣٣.

(٩) كنعان الزيدي وعبد الاله الجلبي، الجزائر الثائرة، مطبعة الامة، بغداد، ١٩٥٨، ص١٧.

(١٠) احمد اسماعيل راشد، المصدر السابق، ص١٣٤.

(١١) يقصد ضربه بمروحة باي الجزائر عام ١٨٢٧.

(١٢) الملك لويس التاسع هو قائد الحملة الفرنسية على مصر، لكنه وقع اسيراً خلال الحملة، وأطلق سراحه بعد دفع الفدية، وعلى اثر ذلك تعهد بعدم القيام بحملة اخرى تحت اسم الدين، لكنه سرعان مانكث وعده فقاد حملة اخرى على تونس، كان من نتيجتها وفاته، اثر مرض ألم به هو وعدد كبير من قادة جيشه.

(١٣) احمد الخطيب، الثورة الجزائرية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٨، ص٤٢.

(١٤) ابو القاسم محمد كرو، ماي شهر الدماء والدموع في المغرب العربي، الطبعة الثانية، تونس، ١٩٥٦، ص٤٢.

(١٥) احمد الخطيب، المصدر السابق، ص٤٢.

(١٦) يعتقد الكثير خطأً ان حادثة المروحة الشهيرة وقعت عام ١٨٣٠، لان في هذا العام وقع الاحتلال الفرنسي المباشر، والأصح أن الحادثة وقعت عام ١٨٢٧.

(١٧) عمرو احمد عمرو وعبد الرؤوف احمد عمرو، احمد بن بيلا ابن شمالي افريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ص٥٥.

(١٨) عبد العظيم رمضان، الغزوة الاستعمارية للعالم العربي وحركات المقاومة، القاهرة، ١٩٨٥، ص٩٥.

(١٩) علي الشلقاني، ثورة الجزائر، دار الهناء للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٦، ص١٣.

(٢٠) هند فتال ورفيق سكري، المصدر السابق، ص٢٦٦.

(٢١) المصدر نفسه، ص٢٦٦؛ احمد بن بيلا، المصدر السابق، ص٦٠.

(٢٢) ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ١٩٣٠–١٩٤٥، الجزء الثالث، القاهرة، ١٩٧٥، ص١٤.

(٢٣) المصدر نفسه، ص١٤؛ توفيق اليوزبكي وآخرون، دراسات في الوطن العربي، ص١٦١.

(٢٤) يذكر اسم احمد بن بيلا في مذكراته ان عدد هذه القرى تجاوز الـ (٨٠٠) قرية، وربما وصل العدد الى هذه النسبة في السنوات الاخيرة من الاحتلال، او ربما كانت تسعى لبناء هذا العدد ولكنها واجهت مشاكل اقتصادية اثنتها عن بناء هكذا عدد خاصة اذا ما علمنا ان فرنسا دخلت في حربين عالميتين خسرت فيهما اموالاً طائلة.

(٢٥) توفيق اليوزبكي، المصدر السابق، صص١٦١–١٦٢

(٢٦) محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي، مكتبة دار الشرق، بيروت، د.ت، ص٢٥٤.

(٢٧) الحلفاء: نبات بري ينتمي الى الفصيلة النخلية، عرف قديماً باسم القصب البانيولي، او حشيش الاسبارتو (Sporlium lyemu) يتصف بمقاومته لدرجات الحرارة العالية، لذلك يكثر في المناطق الصحراوية والغابات خاصة صحراء المغرب العربي، وهو ينمو تلقائياً دون تدخل الانسان لأنه لاتوجد له بذور ولايمكن ان يزرعه الانسان، وله نوعان الاول ذو الالياف الغليظة الذي يستخدم في صناعة الحبال والورق، والثاني ذو الالياف الرقيقة ويستخدم في صناعة القماش وكعلف للحيوانات.

Anthony G. Cachia, Libya under the second ottoman occupation (1835-`911), Tripoli, 1945, p.14q1.

(٢٨) احمد بن بيلا، المصدر السابق، ص٦١.

(٢٩) صلاح العقاد، المغرب العربي، الطبعة الثالثة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٩، ص١٧١.

(٣٠) احمد اسماعيل راشد، المصدر السابق، ص١٦٤.

(٣١) علي الشلقاني، المصدر السابق، ص٢٠.

(٣٢) احمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٦، ص٩٧.

(٣٣) مسعود مجاهد، المصدر السابق،ص٣٥٦.

(٣٤) معمر خير فارس، المصدر السابق، ص٢٠٤.

(٣٥) مسعود مجاهد، المصدر السابق، ص٣٥٦.

(٣٦) احمد اسماعيل راشد، المصدر السابق، ص١٤٨.

(٣٧) احمد بن بيلا، المصدر السابق، ص٢٣٣.

(٣٨) صلاح العقاد، المصدر السابق، ص١٧٠.

(٣٩) محمود مجاهد، المصدر السابق، ص٢٣٩.

(٤٠) Piquet, V. LAlgeRuie Francaise paris 1930. Les Probemes des Protctorats, Recueil d'Artocles, paris ,1953, P.299.

(٤١) الهكتار= ١٠ فدان = ١٠ ألاف متر مربع.

(٤٢) كنعان الزيدي وعبد الاله الجلبي، المصدر السابق، صص١٢–١٤.

(٤٣) المصدر نفسه، ص١٢؛ احمد اسماعيل راشد، المصدر السابق، ص١٦٥.

(٤٤) سهاد عبيد عطوان الجبوري، الموقف الرسمي لأقطار المغرب العربي من الثورة الجزائرية ١٩٥٤–١٩٦٢، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، ٢٠٠٥، ص١٢٨.

(٤٥) د.ك.و، مجموعة قرارات مجلس الجامعة ق(١٥٤٠/ د.ع.٣)، ج٧، في ١٩٥٩/١٠/٨، ص١١٦.

(٤٦) مسعود مجاهد، المصدر السابق، ص٣٥٢؛ هند فتال ورفيق سكري، ص٢٧٠.

(٤٧) ابراهيم كبة، اضواء على القضية الجزائرية، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٦، ص٢٠.

(٤٨) بسام العسلي، المجاهدون الجزائريون، الطبعة الثانية، دار النفائس، بيروت، ض١٩٨٦، ص١٠١.

(٤٩) صلاح العقاد، المصدر السابق، ص١٢٧.

(٥٠) فرحات عباس، الثورة الجزائرية، دمشق، ١٩٦٤، ص٨٠.

(٥١) عبد الحميد مسعود الجزائري،المصدر السابق، ص٥٨.
(٥٢) احمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة ، القاهرة، د.ت، ص٩٠.
(٥٣) المصدر نفسه، ص٩٣.
(٥٤) ابو القاسم محمد كرو، المصدر السابق نفسه، صص٢٧-٢٩.
(٥٥) احمد توفيق المدني، المصدر السابق ن، ص١٧٧.
الادبي. www.yahooo.com(٥٦) منتدى جريدة شروق الاعلامية و
(٥٧) سعد زغلول فؤاد، الجزائر في معركة التحرير، تونس، ١٩٥٧، ص٠٩.
(٥٨) عمرو احمد عمرو عبد الرؤوف احمد، المصدر السابق، ص.ص٤٧-٤٨.
(٥٩) جبهة التحرير الوطني: تأسست هذه الجبهة بعد تعلق الخلاف بين صفوف حزب الحريات الديمقراطية بداية الخمسينات، فانشقت جماعة منه وكونت بداية الامر حركة سرية اطلق عليها اسم (كريا) التي تعني الكفاح الوطني الثوري، وحددت هدفها بإعداد حملة لمقاومة فرنسا وتوفرت لها مجموعة من العوامل منها التآزر والتنظيم، مما ساعدها على تحقيق الاستقلال للبلاد. بسام العسلي، المصدر السابق، ص.ص٣٧-٣٨
(٦٠) عبد المجيد عمراني، جان بول سارتر والثورة الجزائرية، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت، ص١٠٢.
(٦١) بيير هنري سيمون، ضد التعذيب في الجزائر، ترجمة: بهيج شعبان، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٧، ص.ص ٥٤-٥٥.
(٦٢) عبد المجيد عمراني، المصدر السابق، ص١٠٧.
(٦٣) كنعان الزيدي وعبد الاله الجلبي، المصدر السابق، ص٢٣.
(٦٤) المصدر نفسه، ص٢٦.
(٦٥) احمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص.ص.٢٣١-٢٣٢.
(٦٦) عبد المجيد عمراني، المصدر السابق، ص.ص.٨٦-٨٨.
(٦٧) عمرو احمد عمرو وعبد الرؤوف احمد، المصدر السابق، ص٤٨.
(٦٨) عبد المجيد عمراني، المصدر السابق، ص١٠٠.
(٦٩) منذ اندلاع الثورة عام ١٩٥٤، وحتى عام ١٩٥٨، اصدرت المحاكم الفرنسية (٦٥٠) حكماً بالإعدام، وبلغ مجموع من نفذ فيه حكم الاعدام للسنوات ١٩٥٦-١٩٥٨ (١١١) شهيداً جزائرياً. محمد مبارك الميلي، جميلة بوحيرد، تونس، ١٩٥٨، ص٥١.
(٧٠) بسام العسلي، المصدر السابق، ص١٠٥.
(٧١) بيير هنري سيمون، المصدر السابق، ص.ص.٥-١٣.
(٧٢) عبد المجيد عمراني، المصدر السابق، ص.ص١٤١-١٤٣.
(٧٣) حكمت ابو زيد، امكانات المرأة العربية في العمل السياسي، بحوث ندوة المرأة ودورها في حركة الوحدة العربية، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٢، ص١٦٢.
(٧٤) انيسة بركات، محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ١٩٩٥، ص٩١.
(٧٥) محمد مبارك الميلي، المصدر السابق، ص٧١.
(٧٦) انيسة بركات، المصدر السابق، ص٩٤.
(٧٧) احمد شبلي، موسوعة التاريخ الاسلامي (٤) الطبعة الحادية عشر، القاهرة، ١٩٩٩، ص٢٩٤.
(٧٨) محمد مبارك الميلي، المصدر السابق، ص٧١.
(٧٩) حكمت ابو زيد، المصدر السابق، ص١٦٥.
(٨٠) ليندا مطر، دور التنظيمات والجمعيات النسائية في الوطن العربي، من كتاب: المرأة ودورها في حركة الوحدة العربية، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٢، ص١٩٣.
(٨١) احمد شلبي، المصدر السابق، ص٢٩٧.
(٨٢) حكمت ابو زيد، المصدر السابق، ص١٦٨.
(٨٣) مزياني مداني لويزة، مذكرات امرأة عاشت الثورة، الجزائر، ١٩٩٢، ص٦٨.
(٨٤) المصدر نفسه، ص.ص. ١٠١-١٠٢.
(٨٥) محمد شمس الدين، انشودة للجزائر، مجلة الاداب، بيروت، العدد (٧) ١٩٥٦، ص٢٥.
(٨٦) عبد الكامل جويبة، المرأة والأدب في تاريخ الثورة الجزائرية، مجلة علوم انسانية، السنة الثالثة، العدد (٢٨) ، مايس ٢٠٠٦، ص١١٥.
(٨٧) جورج ارنو وجاك فيرجيس، دفاعاً عن جميلة، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٨، ص٦٧.
(٨٨) جميلة بوحيرد، البطلة التي قهرت الاستعمار
http://forums:ikhwan.net
(٨٩) محمد مبارك الميلي، المصدر السابق، ص.ص٨٨-٨٩.
(٩٠)http://www.shrooq2.com
شروق، منتدى جريداة شروق، رحيل المناضلة جميلة بوحيرد.
(٩١) محمد مبارك الميلي، المصدر السابق، ص٨٩.
(٩٢) الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) جميلة بوحيرد
http://aR.wikpedia.org
(٩٣) ومحمد مبارك الميلي، المصدر السابق، ص١٢.
(٩٤) المصدر نفسه، ص.ص.٩٨-٩٩.
(٩٥) انيسة بركات، المصدر السابق، ص١٠٩.
(٩٦) جورج ارنو وجاك فرجيس، المصدر السابق، ص٦٧.
(٩٧) محمد مبارك الميلي، المصدر السابق، ص١٤.
(٩٨)httn://www.iraq-ina.com
اسمي جميلة بوحيرد.. اعيش بينكم والتزم الصمت
(٩٩)htt://www.kenanaonline.com.memo7a
ورحلت جميلة الجميلات.

(١٠٠) بسام العسلي، المجاهدة الجزائرية، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٦، ص١٣٨.

(١٠١) محمد ومبارك الميلي، المصدر السابق، ص.ص١٠٤-١٠٥

(١٠٢)htt://www.kenanaonline.com.memo7a

ورحلت جميلة الجميلات

(١٠٣) جورج ارنو وجاك فيرجيس، المصدر السابق، ص١٠.

(١٠٤) جميلة بو عزة: من مواليد العفرون بمنطقة بليدة عام ١٩٣٧، انضمت للثورة عام ١٩٥٦ وهي ماتزال طالبة بالثانوية، عملت بالمجموعات المسلحة بالعاصمة فقامت بوضع عدة قنابل بأماكن تواجد الفرنسيين، وأهمها عملها بوضع قنابل ادت لتفجير ملهى (بالكوكاردي) عام ١٩٥٧ ، والذي قتل فيه اكثر من ٢٠ فرنسياً وجرح (٨٩) اخرون، على اثر ذلك قامت المخابرات الفرنسية واستناداًٍ لوصف مشاهديها برسم صورتها ونشرها بأماكن متعددة لسهولة القبض عليها، فكان لها ما ارادت في ابريل ١٩٥٧، سامها رجال المظلات الفرنسيون سائر انواع التعذيب وأبشعها وأكثرها وحشية وهمجية، تنقلت بين عدة سجون، كان آخرها سجن (نيور) بفرنسا. اطلق سراحها مع وقف القتال عام ١٩٦٢. وغالباً ماكانت الصحف تقع في لبس بينها وبين جميلة بوحيرد عندما كانت تضع احياناً صورة جميلة بوحيرد، وأحيانا أخرى صورتها. اخر معلومات عنها عام ١٩٨٢ بأنها تزوجت ولها ثلاث اطفال. عبد الكامل جويبة، المصدر السابق، ص٩.

(١٠٥) جميلة بوباشا: من مواليد العاصمة الجزائرية عام ١٩٣٨ انضمت للثورة عام ١٩٥٥ وهي ماتزال تلميذة كان عملها النضالي يتمثل بنقل الادوية والوثائق للثوار وإيواء المناضلين المطاردين. اعتقلتها القوات الفرنسية في ١٩٦٠/٩/٩، ومورست عليها سائر انواع التعذيب بقيت رهينة السجن الى ان اطلق سراحها مع اعلان الاستقلال عام ١٩٦٢ الف عنها الكاتبان الفرنسيان (سيمون دي بوفوار وجيزيل حليمي) محاميتها كتاباً بعنوان (جميلة بوباشا) . عملت بعد الثورة في مجالات عديدة وفي عام ١٩٨٢ اصبحت عضواً بالمجلس التنفيذي لمنظمة المجاهدين وهي ام لثلاثة اطفال. عبد الكامل جويبة، المصدر السابق، ص٩.

(١٠٦) جورج ارنو وجاك فيرجيس، المصدر السابق، ص١٢-١٣.

(١٠٧) عمرو احمد عمرو وعبد الرؤوف احمد، المصدر السابق، ص٥٠.

(١٠٨) بسام العسلي، المجاهدة الجزائرية، ص١٤٢.

(١٠٩)htt://www.kenanaonline.com.memo7a

ورحلت جميلة الجميلات

(١١٠) بسام العسلي، المجاهدة الجزائرية، ص١٤٢.

(١١١)htt://www.kenanaonline.com.

(١١٢) جميلة بوحيرد البطلة التي قهرت الاستعمار
Http://forums.ikhwan.net

(١١٣) بسام العسلي، المجاهدة الجزائرية، ص.ص١٤٥-١٤٦.

(١١٤) المصدر نفسه، ص١٤٥؛ جورج ارنو وجاك فيرجيس، المصدر السابق، ص٩٥.

(١١٥) صالح خرفي، اطلس المعجزات، الجزائر، د.ت، ص٨٧.

(١١٦) الجميلات الثلاث هن: جميلة بوحيرد، جميلة بوعزة وجميلة بوباشا.

(١١٧) مفدي زكريا، اللهب المقدس، منشورات المكتب التجاري، بيروت، ١٩٦١، ص٣١٨.

(١١٨) http://www.iraq-ina.com.

(١١٩) المصدر نفسه.

(١٢٠) محمد مبارك الميلي، المصدر السابق، ص١١٩؛ بسام العسلي، المجاهدة الجزائرية، ص١٤٤

(١٢١) نزار قباني، الاعمال الشعرية الكاملة، الجزء الاول، ديوان حبيبتي، بيروت، ١٩٦١، ص٤٤٩

(١٢٢)Http://forums.ikhwan.net

(١٢٣) جورج ارنو وجاك فيرجيس، المصدر السابق، ص٩٥.

(١٢٤) زوجة رابح ببطاط الذي اصبح رئيس مجلس الشعب الجزائري بعد الاستقلال.

(١٢٥) مقابلة شخصية مع السيد (عزيز النعيمي) في بغداد، بيت الحكمة بتاريخ ١٩٩٩/١/٣٠.

(١٢٦) تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري، تنقيح: نوري العاني وعلاء الحربي، الجزء الخامس، الطبعة الثانية (منقحة وموسعة)، بغداد، ٢٠٠٥، ص١٩٢.

(١٢٧) محمد مبارك الميلي، المصدر السابق، ص١١٨.

(١٢٨) المصدر نفلسه، ص١١٨-١١٩، جورج ارنو وجاك فيرجيس، المصدر السابق، ص٩٤.

(١٢٩) مقابلة شخصية مع الدكتور قيس محمد نوري (امين عام بين الحكمة) في بغداد بتاريخ ١٩٩٩/١/٣١ وكان الدكتور قيس قد التقى اثناء دراسته في باريس عام ١٩٧٩ مع المحامي (جاك فيرجيس).

(١٣٠) المصدر نفسه.

(١٣١)http://www.shrooq2.com.

(١٣٢)http://www.iraq-ina.com.

(١٣٣) المصدر نفسه.

(١٣٤) المصدر نفسه.

(١٣٥) مقابلة شخصية مع د. قيس محمد نوري، بغداد، ١٩٩٩/١/٣١.

(١٣٦)http://www.middle-east-online.com

مدل ايست اونلاين. جميلة بوحيرد تفتتح الاسبوع الثقافي الليبي بالجزائر.

(١٣٧)http://www.elhiwaa-dz.com

(١٣٨)http://www.aawsat.com



صورة للمناضلة جميلة بوحيرد قبل اعتقالها ١٩٥٧



صورة حديثة للمناضلة جميلة بوحيرد

ذا لم تحدث مضاعفات، ويحتملان يحصل لهل فيما بعد عجز جنسي دائم.